الكمين

قَصَصٌ وبطولاتٌ لسبعةِ جنودٍ شُجعانٍ كَمَنوا وَسَط الوادي على خَطِّ النَّارِ، تِجاه العَدُوّ الصّهيونيِّ، بين فلسطين المحتلَّة وسورية في « الجولان ».

عمر بكر المرعي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2010 - 1431

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 - هاتف: 2248433 - فاكس: 2248432
E-mail:almaktabi@mail.sy

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

- إلى الـشهداء الأبـرار الـذين ضـحوا في سـبيل الكرامـة والأرض والعرض.
- إلى المقـاتلين الأبطـال مـن أفـراد قواتنـا المسلحة الباسـلة، الـذين يذودون عن شرف الأمة العربية، ويـردون هجمـات الأعـداء في ربـى الجولان وجنوب لبنان وعلى حدود الوطن الغـالي، بقيـادة الـرئيس الشاب بشار حافظ الأسد.
- إلى المجاهـدين المخلـصين الـذين يتـصدون للعـدوّ الغاشـم في فلسطين المحتلة، وغزة، وبلادِ الرافـدين، وفي كلّ بقعـة مـن الـوطن العربي الكبير.
- إلى أهلنا في داخل الجولان المحتل وخارجه، وهم يقاومون غطرسةَ المحتلّ، ويتمسَّكون بالهوية العربية السورية، وكلهم عـزمٌ وتـصميمٌ على عودةِ الجولان إلى الوطن الأم «سورية».

المؤلف

مقدمة

نحن جيل عربيٌّ من نسلِ خالد وأبي عبيدة وحمزة، قد رَضَعْنا حبَّ الوطن مع حليب الأمّ وتعاهدنا على حمايته والذّودِ عنه، إنه الأرض فيها ترعرعنا، وتربينا وتعلمنا الإخلاص والتضحية. كُنا ومنذ صغرنا وما زلنا نُنشِدُ ونغني لهذا الوطن، للبيت الذي ضمّنا، والهواء الذي أنعشنا، والماء الذي روَّانا، والشجر الذي أطعَمَنا وأظلّنا.

والدروب التي مشينا فوقها، والعلم العربي الخافق فوق رؤوسنا

ونحن نرى الأوطانَ أماً وأباً ونردِّدُ قول الشاعر:

يا علمي يا علمي   يا علمَ العرب اشرقي
واخفقي بالأفق   الأزرقِ يا علم

إنه الوطن الذي نهلنا مَحَبَّتَه مع الماء، والزاد، والهواء ونحن صغارٌ، وما زلنا على العهد ونحن كبارٌ وحتى نموت.

وشعارنا المقدس بعد الإيمان بالله.

يـــا نشـــيدَ الأمـهـــات   في الليـــالـي الحَـــالـكـــات

لِبَـــنِـــيْـــهِـــنَّ الأُبـــــــاة   كـيـــف لا نـــفـــديـــك

ولا نضحي في ســـبيلك ونحميـك من الأعـداء والطـامعين، وهـا نحن نرى في كل يومٍ شـهداء على مذبحـك في الشـرق والغرب من أرضك الواسـعة، إنهم فتيَةٌ نذروا النفس والروحَ رخيصةً للذود عنك، ولن ترهبهم حملاتُ الأعداء ولا أسـلحتُه لفتـاكةُ، أو خططُه الإجـرامية والتنكيـل بـالعرب في فلسـطين والعراق ولبنان والجولان، وبأي شبر من الأرض العربية الغالية، وستفشلُ أهدافُ الأمريكان والصهاينة المجرمين، وسيندحرون بعون الله تـحت ضـرباتِ الأشـاوس من شـباب أمتنا العظيمة.

الكمينُ المتقدّمُ

عناصُر الكمين من أفراد الجيش العربيّ السوري (هم سبعةُ رجالٍ شجعان تعاهدوا على الدفاعِ عن أرض وكرامةِ الوطن).

1- الرقيب أحمد رئيس الدورية، ابن الجولان، متزوج له ولدان.

2- العريف سليم نائب رئيس الدورية، من قرى جبال اللاذقية.

3- الجندي خلف، متطوع من مدينة حماة.

4- المجند محمد، شابٌّ من قرى حلب.

5- المجند راتب، شابٌّ من مدينة دمشق.

6- المجند جاسم، شابٌّ من قرى الرقة.

7- الجندي زاهر، متطوع من مدينة السويداء.

في مقرّ السرية المقاتلة

تجمَّع أفرادُ وضُباطُ وضباطُ صَفّ من عناصر السَّريَّة في الاجتماع الصباحي، لتحيَّة العلم العَرَبيّ السّوري وسط الوادي الكبير، وحولهم حُزْمَةٌ منَ الجبال العالية، تتخلّلها الأخاديدُ والوديانُ، وتتناثرُ في سفوحِها المغاورُ والطياتُ، وتكثُر على أطرافها الصُّخورُ الضخمةُ وكأنها جمالٌ حَطّتْ رحْلتها بعد سفرٍ طويلٍ.

وغيْرُ بعيدٍ عنهم كان حِصْنُ الأعداء يشرف عليهم من جهة الغرب وفيه متاريس وتحصينات مُسَلحةٌ مُزودةٌ بالمدافع والرشاشات والمعدات المتطورة، وعليه قواتٌ معاديةٌ صهيونيةٌ، تصل إليه بواسطة طريقٍ متعرجٍ يتلوى كالأفعىٰ، والمجنزراتُ تصْعَدُ وتهدُرُ متسَلقةً هذا الطريق الصعب وهي تحملُ للأعداء الذخائر والأسلحة والمواد التموينية.

كما قال الله تعالى فيهم في قرآنه الكريم: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ صدق الله العظيم

قال الملازم أول أحمد: إنهم يرقبوننا من عَلٍ وعلينا الحذرُ والتخفي قدرَ الإمكان؛ إن لديهم أجهزةً للمراقبة الحديثة، وكلُّ ما يُنتجُ الغربُ الاستعماري من أسلحةٍ فَتّاكةٍ ومخترعاتٍ يأخذونها مجاناً ودون عناءٍ أو دَفعِ ثمنهِ، ونحن نشتري سلاحنا بشقّ الأنفُس من أسواقٍ تستَغِلُّنا، ونقطعُ عن شعبنا لُقمة العيش لِنُؤَمِّنَ ثمنَ هذا السلاح، وأكّدَ على جنودِه أن يحافظوا على البندقية والذخيرة ويصونوا المدافع والرّشاشات، حتى تكون جاهزةً وقت الحاجة وعند المعركة.

انهمك الجميع في تأمين أماكن للسلاح ومتاريسَ وخنادق تقي هذه الثّكنة المتقدمة شَرَّ هَجَمات المعتدين، فهم يستغلون الثغرات للإيقاع بخصمهم، وطلب القائدُ فرز الكمائن والدوريات فوَكَّل بهذا الأمر المرشح نَجْدَتْ،

هذا الضابطُ المجندُ من خريجي جامعة دمشق قسم التاريخ وقد اتبع دورة في الكلية الحربية وتخرج منها بامتياز.

أمر المرشحُ الفصيلة رقم 7 أن تؤدي مُهمةً سرّية وخطيرةً، عند نهاية الوادي على خط المنطقة المنزوعة السلاح بين القوات السورية وقوات العدو المحْتَلةِ لأرض فلسطين الحبيبة، وطلب منهم حمل مَعَدّاتهم ولوازمهم والتقدم ليلاً تحت جنح الظلام؛ حتى لا يكتشفهم الـمَرْصَدُ المقامُ على الحصن المشرف على الوادي.

وقف الرقيب أحمد متسَمّراً أمام الضابط المرشح، وأدىٰ التحية العسكرية مستأذناً بتنفيذ هذه المهمة.

حمل عناصُر الكمينِ أسلحتهم وأدواتهم واتجهوا غرباً، يخوضون في البِركِ ويجتازون السيول، في جوٍّ مَطيرٍ ورياحٍ عاصفةٍ ورعدٍ وبرقٍ، ومن حولهم وحوشٌ تنظرُ إليهم بحذرٍ وذئابٌ تعوي تنذرُ بوجودهم، ولكن لغتها لا يفهمها إلا العارف بطباعها منْ مِثلِ المجند جاسم الذي تعامل معها كثيراً في بوادي الجزيرة.

وصل أفرادُ الفصيلةِ مكاناً رآه الضابطُ المرشحُ مناسباً، للتَوضّعِ فيه، حيث كان يرافقهم لكي يُؤمّن عليهم ويختارَ لهم المكان المناسب.

كانوا يهتدون بلمع البرقِ في رؤية ما حولهم، وقصف الرعد حتى لا يسمعَ العدوُّ ضجّتهم فيكتشف وجودهم.

حَطّوا رِحَالَهم ونصبُوا خياماً صغيرة دهنوها بالوحل، ورفعوا فوقها أغصان الأشجارِ للتخفي.

رَكّبوا في خيمةِ الرقيب أحمد جهازاً للهاتف ووصلوه بشريطٍ مُقاوم حربي يصلهم مع القطعة العسكرية المتَقَدِّمة، وفي متناول الملازم أول قائد السرية الذي يحْرصُ أن تؤدي مُهمّاتِها بنجاح كما كانت منذ تأسيسها في بطنِ هذا الوادي الموصِلِ إلى طُرُقٍ عِدَّةٍ، ومَسَالك إلى القرى والمدن العربية السورية في الجبهة الجنوبية الغربية من خط النار.

قالَ آمرُهم: نحن نحمي ثغراً من ثغورِ هذا الوطن، ونقطعُ على العدوّ طريقاً يمكن أن يتسلَّلَ منها للإيقاع بقواتنا وأهلينا،

فعلينا يا أفرادَ هذه التشكيلةِ أن نكون على قدر المسؤولية الموكلة لنا ونؤديها بأمانةٍ، وكم تناوَبَ على هذا المربضِ من قواتٍ صديقةٍ مثلنا وتصدوا لمحاولات العدوّ؛ للإيقاع بهم والنفاذ إلى قرانا واختراق خط جبهتنا، وباؤوا بالفشلِ وتكبدوا قتلى وجرحى ومعداتٍ، ونحن نريدُ أن نكون مثلهم ونردّ أيَّةَ محاولةٍ لهذا العدو الطامع في أرضنا وخيراتنا، ويخططُ للاستيلاء عليها ويسلبها كما فعَلَ في فلسطين الحبيبة.

جمع الرقيب أحمد هذه الفصيلة المتقدمة في حفرةِ خيمَتِه التي هَيَّأها له المجند جاسم، وطلب من الجميع أن يكونوا على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو إذا لزمَ الأمر، علماً بأن مهمتنا هي المراقبةُ أولاً وإعلامُ القيادة بما يحصلُ في هذه المنطقة الخطيرة، وتنفيذُ ما يطلبُ منا من مهماتٍ قد تصلُ إلى حدِّ الاشتباكِ مع العدوّ،

وفي كلّ الأحوال علينا التخفي الكامل عن عيون الأعداء، لأن مصيرنا الفَشَلُ، إذا ما اكتشفوا وجودَنا،ونصبحُ مُعرَّضين لخطر داهم علينا وعلى السرية.

استغل المجند جاسم طلوع الفجر وكثرة الضباب، وأخذ يبحثُ ويستكشفُ الطبيعة فيما حولهم، فوجد مغارةً قريبةً منهم، فدخلها فإذا هي واسعة وسقفها مُرتفع بحوالي مترين، وكان يضيء مصباحاً يرى ما فيها ومدى صلاحيتها كمقر لهم؛ فهي تحميهم من العوامل الجوية ولا تظهرُ على العدوّ، نادى على الرقيب ليُريه المغارة فَأُعْجبَ برأيهِ وطلب أن تكون مركزهم، وأمر بنقل جهاز الهاتف لداخلها، وأثناء حملة التنظيف التي قام بها المجندُ جاسم وزميله المجند راتب، سمعا أصواتاً تخرجُ من بعض زوايا المغارة المتطاولة إلى الداخل، فإذا بهما يلاحظان عيوناً تبرقُ في الظلمة على ضوءِ المصباح، وأخذ العواءُ يصدُرُ واضحاً مسموعاً، فعرَف المجندُ جاسم أنها وحوشٌ تسكن فيها؛ إنها ضِباعٌ كاسرةٌ، وهي عائلةٌ من أمّ وأولادها وَفَحْلِها، اتخذت من المغارة مَلجأً لها.

قال الرقيب العارف بسلوكِ هذه الضّواري وهو من أهالي المنطقة ومُطّلعٌ على ما يجري بها:

إن سكان بعض القرى يصطادون هذه الضّباع عَنوَةً في وسط النهار!

يدخلون إليها ويقتادونها وكأنها حيواناتٌ أليفةٌ.

قال المجندُ جاسم: دعها لي يا سيدي وسوف أُخْرِجُها خلالَ دَقائق.

فتناوَلَ ناراً ورَماها عليها وأشار لها بالخروج وهو يَزْعَقُ في وجهها.

فما كان منها إلا الانصياعُ لأمرِهِ وإشارته، وكان المجند راتب يحملُ

بندقيتَهُ وقد وضعَ يده على الزناد خوفاً من غَدْرِها بهم.

فأشار الرقيب عليه ألا يستعملَ السّلاحَ؛ لأن العملية لا تحتاجُ

ونحن في وضع يَكشفنا العدوُّ إذا أطلقنا طلقةً واحدةً.

وهكذا جَرَّتِ الضِّباعُ نفسها مُسْرِعةً للخارج تتقدَّمُها الأمُّ العملاقةُ

وجراؤها والضبعُ من ورائهم، وهم يَجْأرُونَ بأصواتهم المخيفة،

وأفرادُ الكمين ينظرون ويتابعون ما يجري، فتعجَّبَ المجندُ راتب

من جَسَارَةِ رفيقه جاسم وكيف تعامل مع هذه المفترسات الخطرة،

فقال: إنني رأيت أمثالها الكثير وقتلت بعضها في بوادي الجزيرة،

عندما كانت تحاوِلُ الاعتداء على البشرِ وتفْتكُ بالحيوانات.

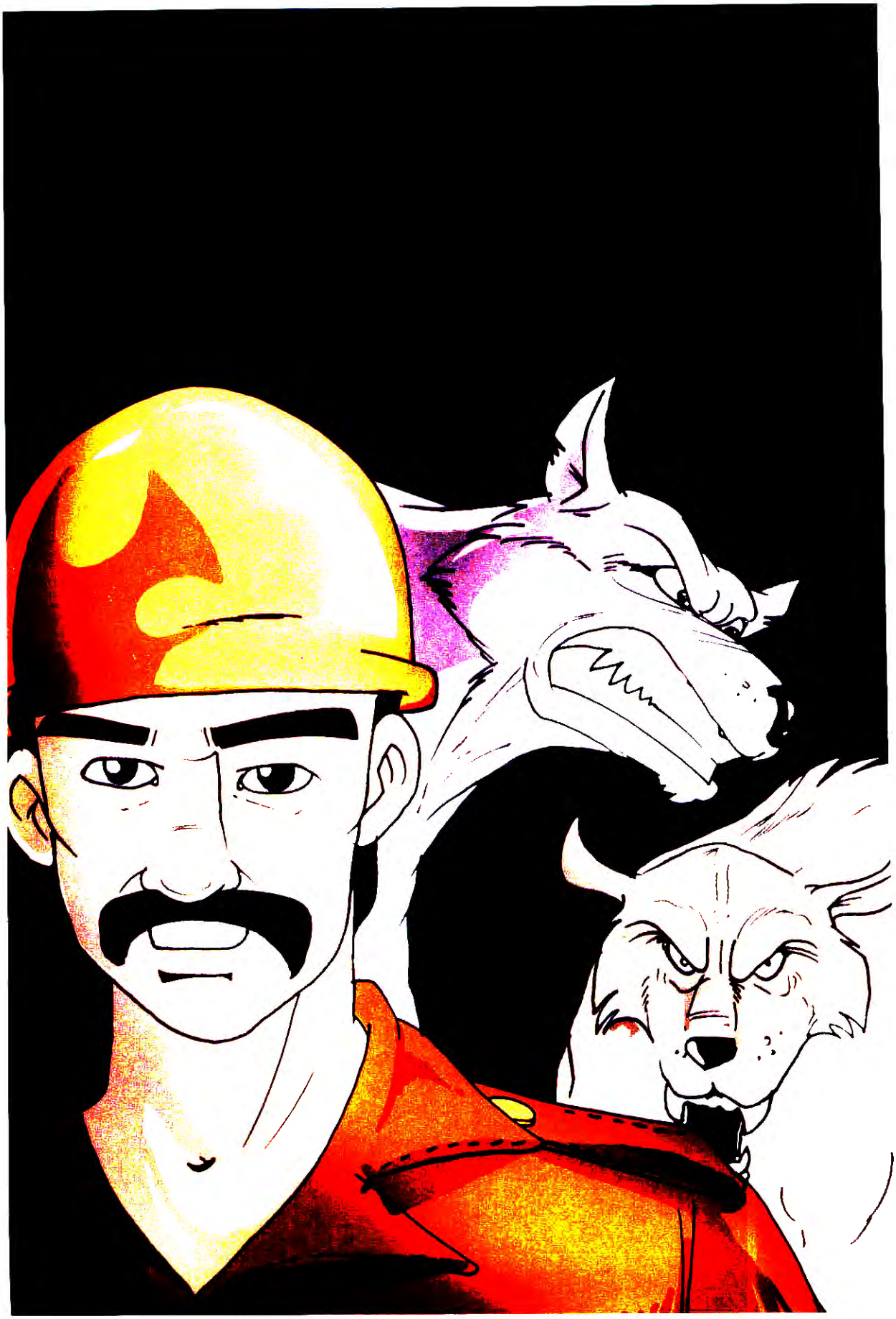

إنها من أخطرِ الوحوشِ وَأشرسها فهي عَدْوَةُ الإنسانِ والبشرية. وإذا أردتُ تصنيفها فهي والصهاينة سواءٌ: فهم يتعطشون إلى قتلِ الأنفسِ وخاصةً العربَ ولا يُفرّقون بين صغيرٍ أو كبيرٍ، امرأةٍ أو رَجُلٍ. وهكذا اختفت مجموعة الضّباع وهي تدخلُ الغابَة في وسط الوادي لتجِدَ لها مأوىً آخر، بين ذئابٍ وضباعٍ وثعالبَ وخنازيرَ بريَّةٍ تكاثرت واستوحشت في قلب المنطقة العازلة الخالية من السكان إلا من بعض الرُّعاةِ المجازفين والصيادين المغامرين.

عَيّنَ العريفُ العُنْصَرَ جاسم مناوباً عليهم حتى يأخذوا قسطاً من الراحة وينامُوا بعضَ الوقتِ بعد تعَبٍ وعناءٍ من الرحلةِ التي جاءَتْ بهم إلى هذا المكان، فهي خَطِرَةٌ وغيرُ اعتيادية. ولكنها تهون أمام عزيمة الشباب وحماستهم، لفَّ كلٌّ منهم جسمَه ببطانية عسكرية سميكة، واستسلموا للنوم في وسط هذه المغارة التي كانت مسكناً للوحوشِ، فهيَ تحميهم من المطر والريح العاتيةِ التي هبّتْ مع طُلوع الفجر.

ولما أشرقت الشمسُ وأطلّتْ عليهم بحيرةُ طبريا ومدنُ
فلسطين الحبيبة وجبالُ
الجليل العالية بما فيها من
عماراتٍ وأدْيرَةٍ تتلألأ
تحت أشعة الشمس
الذهبية، استفاق الجميعُ
وجاء جاسم
من مناوبَتِه،

وحاول أخذ نصيبه من الراحة والنوم يمنحها لجسمه من تعبٍ حلّ به أثناء رحلة الليل المرهقة.

اتصل الملازم أول بهم ليطمئن على وضعهم، فأعلموه وكان مرتاحاً لأخبارهم، وشدّد على سرّيّة مهمّتهم وألّا يظهروا للأعداء إلا حين يعطيهم الأوامر بذلك. نظر الجنديّ زاهر خارج المغارة نحو الغرب، فشاهد صهيونياً يقف في محرسه غير بعيد منهم عن الزاوية في الطريق الموصلة إلى الحصن العالي، إنه يحرس الطريق الصاعدة إلى الأعلى، ويتنكّب بندقيّته ويختبئ وسط متراس، فتمنّى لو يستطيع التصويب عليه فيرديه قتيلاً. ولكن أوامر القائد لا تسمح بذلك. وجد زاهر شجرة خرّوب ظليلة كثيفة الأوراق ومن حولها أشجار سدرٍ وعبْهر، فتنحى جانباً وجلس في موضع بداخلها، وأخرج ورقة وقلماً وبدأ يفرغ ما بصدره من محبّة لعشيقته وابنة عمه التي خطبها منذ مدّةٍ قصيرةٍ وهو يبثّها هذا الحب من وسط وادٍ مخيفٍ يمتلئ بالمخاطر والأهوال.

ولكنه طَمْأَنَها بأنه ورِفاقه أسودٌ لا يرهبون هذه المخاطرَ ولا الأعداء المتربصين بهم كلَّ شرٍّ، وبعث سلاماته لأمه وأبيه وإخوته ورفاقه وهو بخير ولا ينقصه سوى رؤيتهم، وإن المهمةَ التي يُؤديها عظيمةٌ ولها الأولوية على كل اعتبار، قال: ليتك تَنْظُري حولي، إنها لوحةٌ من خلق الرحمن، فهي الجنَّةُ على الأرض، بحيرةٌ ماؤُها رَقْراقٌ ونسيمها عليلٌ، وادٍ يُعطره أريجُ زهر النرجس والأقحوان، ويزينُه شجرُ الرمان والخروب والبلوط، وأرضٌ يتناثر فوقها زهرُ شقائق النعمان،

وأسرابُ الحجل تنتشرُ على السفوح ومن ورائها صيصانها التي

لا تكادُ تراها حتى تختفي من أمام ناظريك.

إنها الجَمَالُ، عظيمةٌ هذه الأرض فهي تستحق من كلّ عربيَ أن

يَفْديها بالنفس والنفيس، ولا يتركها لهؤلاء الدخلاء.

فهي لأمتنا منذ الأزل وستبقى ولن يمروا إلا على أجسادنا.

وسَيُلاقوا أفواجاً غيرنا من الشباب العربي، تذيقهم شرّ الهزيمة

والخذلان.وانقطعت أفكارهُ وأسْرَع يُلبي نداءَ قائده ووضع

الرسالة في جيبه وشد عليها خوفاً من الضياع، وهناك على بعد

عشرات الكيلومترات كانت الفتاة الجبلية ((شهلا)) تقف على

أسطوح دارهم تنظر نحو الأفق الغربي لعلها تسمعُ أو ترى أو

تشم رائحة من هواءٍ مر على حبيبها زاهر فيخبرها عن حاله

وتَبُثُّ إخلاصها فتنشدُ:

أَيا نَسيمَ الصَّبا بلغ تحيتنا إلى حبيبٍ له في النفسِ آهاتُ

ودَعَتْ رَبَّها أن يحفظ زاهراً ورفاقه، وينصرهم على عدوٍّ لئيمٍ جاءَ يغتصبُ ويسرقُ أرضنا وخيراتنا.

كان زاهر ينتظرُ الفرصةَ كي يُرسلَ هذه الرسالة الغالية عليه وهو يأملُ أن تصلَ إليها مع أول بريد يُرسَلُ إلى السرية، دخلَ المجندُ جاسم ورآهُ يقرأ الرسالة، فجلسَ بجانبه، وسأله: أهذه رسالة؟ فقال: نعم!. قال: لحبيبتك؟ قال: نعم!. وتذكرها الآن! فأنت عاشقٌ ولهانٌ! قال: هي خطيبتي كذلك، وهي تعيش معي في قلبي وتعطيني القوَّة والصبرَ والأمل. قال المجندُ جاسم: وأنا مثلك لي ربيعةٌ هناك، في مرابعِ الجزيرَةِ، وأريد منك كتابة رسالةٍ لها مثل رسالتك هذه، فتناول زاهر الورقة والقلم وقال: ماذا أكتب يا رفيقي؟ قال: ارسم لها صورة قلب في وسط الرسالة، فتعجب الجنديُّ زاهر! وقال في نفسه: كيف فاتتني هذه وهو الأميُّ وأنا المتعلّمُ؟، وتذكّر بأن حبَّ البدوي ومشاعرَهُ جَيَّاشةٌ، ولديه من الفطنةِ أكثر من غيره، وتابع: اكتب: إنك تعيشين معي فأتصورُكِ بجانبي وأنا في الخندق أو المغارة، في الصباح النَّديِّ أو عند الظهيرة وفي هَجْعَة الليل، قل لها: إنني أستمدُّ العزيمة والصبرَ من نصائحك وتشجيعِكِ لي، وكم قلت لي: إن الوطن أثْمنُ من كل شيء.

وعلينا أن ندافعَ عنه بالغالي والنفيس....

وعندما أكمل له، هذه الرسالة، وَوَضعها في مُغَلَّفٍ وطلب منه أن يضع عليها عنوان المُرسلةِ إليها صَمَتَ المجندُ جاسم وقال: إن عنوانها في جيبي وعند قلبي! وتناوَلها وضمَّها وشدَّ عليها بقوَّة مُرَدّداً: ليتها تصل وأين أَنْتِ الآن يا ربيعتي في أي باديةٍ أو تلةٍ؟ بين الأهل الذين يلحقون المرعى والكلأ، ففهم منه الجنديُّ زاهر بأن الرسالةَ لن تصل بالبريد؛ لأن المرسَلَ إليها تتنقلُ خلف المواشي ولا مُسْتقَرَّ لها، وتابع: إن والديّ عجوزان وإخوتي صغارٌ لا يقدرون على العناية بالقطيع واللحاق بالرّعاةِ في بادية شاسعةٍ تَشُحُّ فيها المياه ويقلُّ المرعى، وقد وَكَّلتُ بهم ابن خالتي ولعلَّهُ يؤدي الأمانة ريثما أُنهي مُهمّتي وألتحقُ بهم، فقال له رفيقه زاهر: إنكم يا أهل البادية أصحاب مروءةٍ ولا أعتقد أنهم يتركون والديك دون مُعاوَنةٍ فاطمئنّ يا صاحبي!.

ومع حُلولِ الظّلام واشتداد العتمة، قَدِمَ إليهم ضابطان من قوّات الاستطلاع، يريدان استكشافَ العدُوّ عن كثب، فلابدَّ من الدخول في أماكن خَطِرةٍ ويحتاجون للمساعدة، كُلِّف الجندي خَلَف بمرافقتهما، وتقديم العون لهما في تنفيذ هذه المهمة، والدفاع عنهما إذا تعرضا للخطر، وكان هذا الجندي قد خَبِرَ المنطقة، وعرف دُروبَها وممرات العدوِّ التي يسلكها، وذلك من خلال رَصدِهِ الدائم لكلِّ نشاطِ الأعداءِ وتحركاتهم.

وبعد منتصف الليل ووسط الظلام الحالك والريح العاصفة والمطر المنهمِرِ، تسَلَّلَ الثلاثةُ عبرَ الوادي، والجندي يقظٌ ويقبض بكلتا يديه على بندقيته، وإصبعُه على الزناد، ويسيرُ أمام الضابطين بكلِّ حَذَرٍ، ويبتعدُ عن أماكن حُرَّاسِ المستعمرة وكمائنها. ودخلوا بيارات الموز والبرتقال التي استولى عليها الصهاينة وهم يستغلونها ويبيعون منتجاتها للبلاد الأوربيَّة والأجنبية، وتعَرَّفَ المستَطلِعانِ على واقع الأعداء ونَفَّذا المهمَّة بمساعدة المقاتل الشجاع خلَف.

وعادوا دون أن يلحظ نشاطهم أحدٌ من الجنود أو السكان. وكان الجندي يحمل على كتفه قطفاً من الموز قَطَعَهُ بخنجره. وأراد أن يقدِّمَه هديّةً لرفاقِهِ في الفصيلة، وتمنى لو يُسمَحُ له كلَّ يوم أن يدخلَ هذه المستعمرة فيقتلَ من فيها ويجني من أرض العرب هذه الخيرات التي استباحها الأعداء.

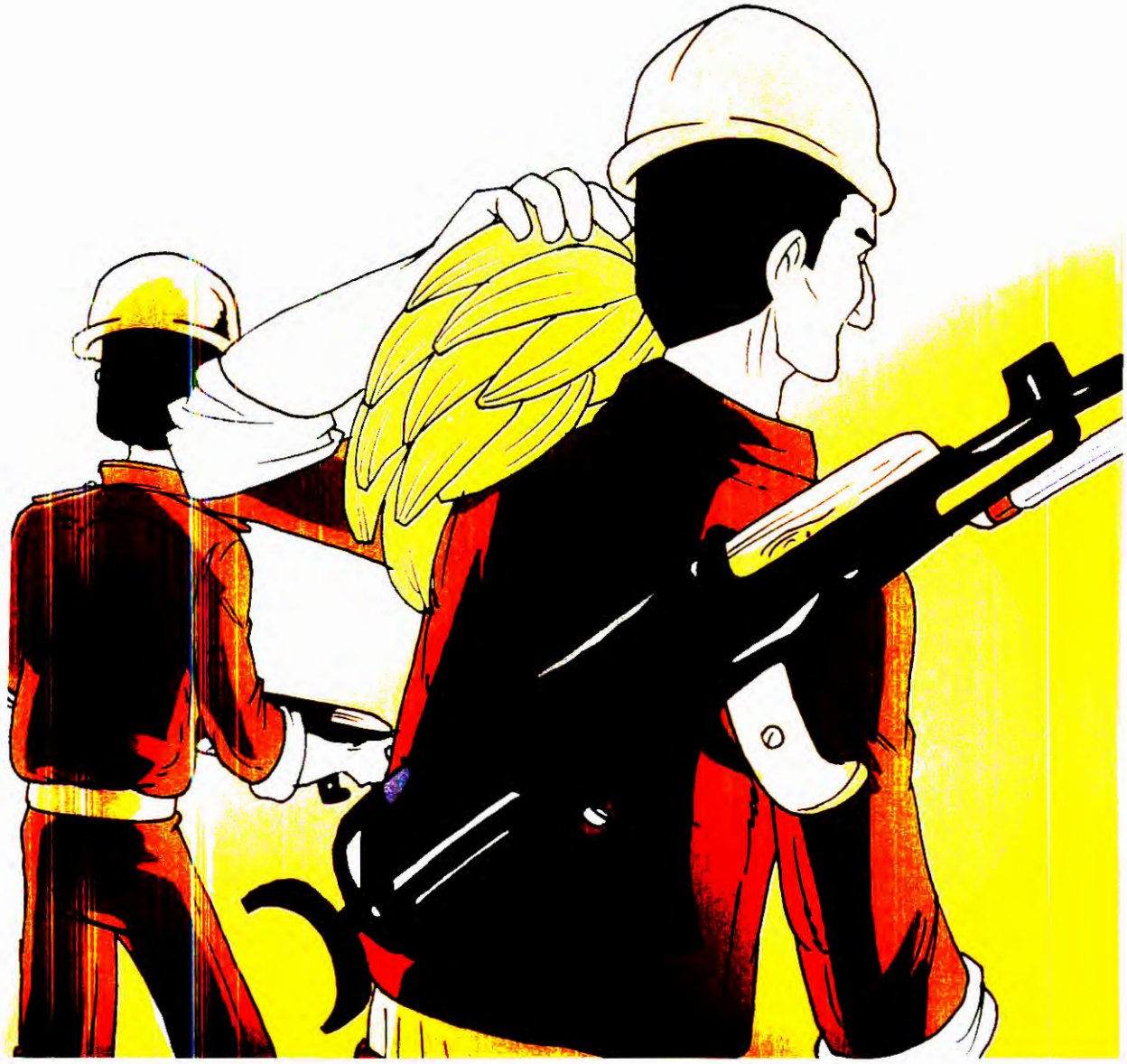

لقد كانت ملكاً لإحدى القرى (نقيب العربية) فدمَّروها وهَجَّروا أهلها وهم من عائلات عربيَّة عريقة سكنوها من قديم الزمان وتوارثوا ملكيتها أباً عن جدٍّ، حتى جاءتها هذه العصابات المنظمة، وهاجمتها بكل وحشيَّةٍ، واشتبكوا مع المدافعين من أهلها في معارك طاحنة غير متكافئة حتى أجْلَوْهم عنها، وما زالوا يرابطون غير بعيدين وينتظرون ساعة العودة والتحرير.

وصلوا مقرّ الفصيلة (الكمين) واستراحوا بعض الوقت حيث قدَّم لهم العريفُ سليم الشايَ المطبوخ على نار هادئة وسط المغارةِ، وقدَّم الجنديُّ لرفاقه قطف الموز يأكلونه هنيئاً مريئاً.

غادر الضابطان نحو مقر السّرية حيث استقبلهما الملازم أول والمرشح وهنأهما على سلامتهما ونجاح مهمتهما، ولكنَّهما أطْلعا قائد السرية على شجاعة ونشاط الجندي خلف وأن له فضلاً كبيراً في تنفيذ هذه المهمة، واقترحا أن يُكافِئَهُ ولو بشيء معنويٍ.

ومع طلوع الشمس وانتشار ضوء النهار، دخلت إلى مغارتهم غزالةٌ صغيرةٌ، وهي ترتجفُ من الخوف، ولما رآها المجند جاسم عرف أنها هاربة من مطاردة الذّئاب لها، وقد استَجارَتْ بهم من هذه الوحوش المفترسة، فأخذها ولفَّها برداءٍ وكان يمسحُ عَرَقَها، وقد هدَأت واطْمَأَنَّتْ على وجودها بينهم حتى زال الخطرُ، فإذا بهم يرون أمها ترقبها عن بعد وهي تعرف من بين البشر هؤلاء من يَصطادُ الغزلان ويَأكلُ لحمها، فكيف تأمنُ على ابنتها منهم؟!

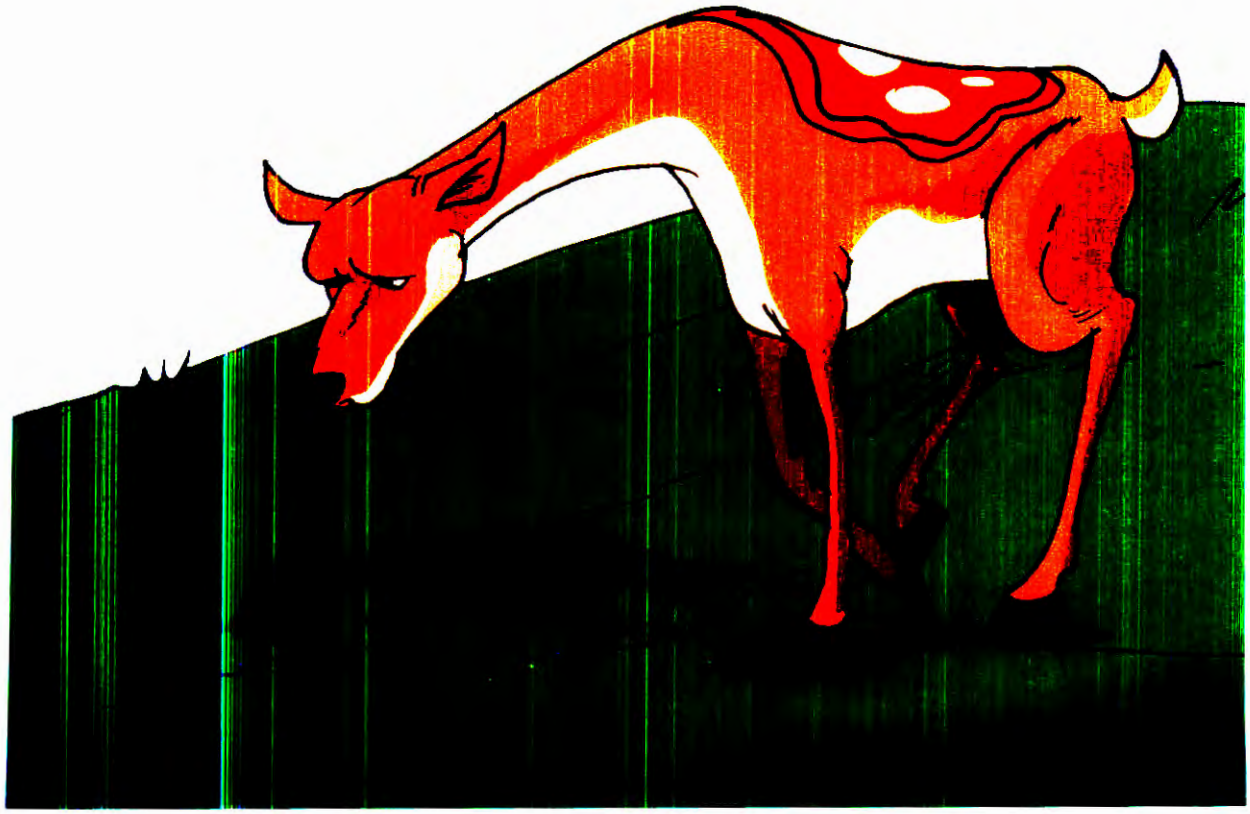

ولكن خوفها قد زال عندما رأت هذا البدويَّ يعتني بها ويضع في فمها قطعاً من السكر، وصارت تتبعُه كيفما تحرك، قال له العريفُ: دَعْها تَلحَقُ بأمها فهي بحاجةٍ للرضاعةِ منها، وذَهَبَت تقفزُ وراءها وسط القطيع الذي يتقدَّمُهُ غزالٌ كبيرٌ بقرون طويلةٍ حادّةٍ تساعِدُهُ على الدفاع عن الغزالات، خاصة الصغيرات تجاه وحوشٍ ضاريةٍ تتربصُ بهم.

كانت الدورية بحاجَةٍ إلى مؤونةٍ، فكلُّ ما حملوهُ منها قد نفد، ولا بدَّ من إرسال من يُحضُرها من مقرّ السَّرية. كلَّف الرقيبُ الجنديَّ زاهر والمجندَ راتب للذهاب وإحضار المؤن التي تكفيهم مدة إقامتهم في هذه المنطقة المعزولة عن التجمعات السّكانية، إلا من بعض الرُّعاةِ والصيادين المغامرين، لَبِسَ كلٌّ منهما دُروعَه من أغطيةٍ تقيهما لَفْحَ المطر والريح، وَتَوَجَّها تحت جُنْح الظلام شرقاً باتجاه مقرّ قيادتهم، وكان السيلُ يَموجُ بالمياه المتدفّقة الهادرة المتجهة نحو البحيرة التي جَعَلَها المحتلون مخزَناً لهذه المياه؛

[illegible] وأشجارٍ في أرضِ أهل فلسطين التي

[illegible] بقوة السلاحِ وبمؤامراتِ الدول العظمى على

[illegible] بريدَ الفَصيلة ومنها رسالةُ الجنديِّ

[illegible] جسمه ما زالت معه يشدُّ عليها قرب

[illegible] زادت فيه الدقات قوةً وسرعةً، وهي

[illegible] وعند الفجر كان العنصران يعودان

[illegible] التي خصصها لهم قائد السرية، فإن نجاح مهمتهم

[illegible] لكل تحركات العدو تلحظ من قبلهم، وأي تَقَدّم يقومُ

به [illegible] فيعملون على إنذار السريةِ التي تتضمَّنُ خُطَطُها ردَّ

[illegible] الاعتداءات.

[illegible] القطر المنهمر، واقتربا من موقدٍ في

[illegible] وريح واجهاهُ أثناء عودتهما، وضع

[illegible] رأسه على كومة ترابٍ وتغطى ببطانيةٍ سميكةٍ،

وجزءٌ منها تحت رأسه، وراحَ يغطُّ في نوم عميقٍ من التعب،

وشاهَدَ رؤيا جميلةً ، إنَّهُ في دارِه يجلِسُ حولَ البحرةِ ونوافيرها

تنثُر الماءَ، وفوق رأسه أشجارُ النارنج والورودُ من حوله تعبُقُ

برَوائِحها، وأمُّهُ تحملُ المائدة وتضعُ الأطباق الشهية أمامهُ،

وإخوتُهُ يلعبون حول البحرَةِ وهو ينظرُ

إليهم واحداً تلو الآخر إنه

يُحبهم ويَشتاقُ إليهم،

فأواصر المَوَدّةِ في هذا

البيت شديدةٌ،

إنهم من العائلات الدمشقية العريقة في حيِّ القنوات الشهير، وما زال يَحلُمُ ويرى والدَهُ يفتح البابَ ومعه الخبز المشروح، وطبق الفول المدمّس والفطائر الساخنة، وأمه تدعوه لتناول الإفطار الشهي، وإذا بالعريف سليم يوقظه من نومه ويقطعُ عليه رؤياهُ الجميلة، وقد أعدّ إبريقاً من الشاي وخبزاً مما أحضره العنصران، وقطعاً من الجبنة المغلفة وحبات من الزيتون، وضعها أمامهم وقال: هيا يا رفاقي كلوا مما قسم الله لكم في هذه الأرض الطاهرة، تجمَّعَ المقاتلون الشجعان على مائدة العريف سليم، وهم يرتشفون الشاي لأول مرة منذ حضروا إلى هذا الكمين، وجاء المُجند جاسم ومعه أغصَانٌ وأوراقٌ من الزعتر البَرّيّ والشَّمرا قطفها من الأرض أمام المغارة وحولها.

كان الجندي خلف في المحرس غير بعيد عن مقرهم، وهو يتخفى ويضع على خوذته غصناً من شجر البلوط، وقد دَهَنَ ثيابه بالطين حتى لا يراه المرصدُ المقابلُ فيكتشفَ الأعداءُ مكانهم، فتفشل مهمَّتهم.

رأى الجنديُّ خلف حركةً متلاحقةً تتقدَّمُ نحوهم، فأسرع يُعلِمُ الرقيبَ، فهبّوا جميعاً يحملون أسْلحتَهم ويتمركزون في جُوَرٍ عميقةٍ، ويهيّؤون السّلاحَ لِصَدّ أيِّ هُجوم والاشتباكِ مع العدوّ إذا تجرَّأ على التقدّم واختراقِ الحدود، فما هي إلا برهة حتى ظَهرَ عليهمْ قطيعٌ من الخنازير البريَّةِ الهائجةِ، تقتربُ منهم مذعورةً من مُطاردَةِ الذئاب لها؛ لتصطادَ صغارها أو الضّعافَ منها، فأمَر الرقيب العناصر التنَحّي عن طريقها حتى لا تُؤْذيهم أثناء اجتياحها المنطقة، فدخلوا جوف المغارة،

ومرَّت الموجةُ من حولهمْ وكأنها زلزالٌ يهز الأرض تحت أقدام هذه الحيوانات المؤذيةِ، فهي تصلُ إلى حُقولِ الفلاحين على أطراف المنطقة العازلة وتتلِفُها ويتضَّررُ الفلاحون، ويَنْقصُ نتاجُهم من الذرة والقمح والمحاصيل الأخرى.

اطلعت الفصيلةُ على الأضرار من حولهم وكانت كبيرة، والأرض وكأنّها قد حُرثَتْ، والشجيراتُ أُتلِفَتْ، وأصبحت المغارةُ مكشوفةً، وقد يلحظُهم الأعداءُ.أمرَ قائد السرية بتغيير مربضهم، وفي جوف الليل حضر يرافقه المرشحُ لاختيار مكان مناسب لكمينهم هذا، فكان أنِ اختارَ منخفضاً وراءَ تلةٍ تمنعُ رؤيتهم من مرصدِ العدوّ، ووضعوا مُستكشفاً يختفي في أعلى التلةِ، وبهذا تكون حركتهم أوسع وتنقلاتهم مأمونةً أكثر.

وصلتْ إلى مقر السرية برقيةٌ مفادها: أن والدة العريف سليم مريضةٌ مرضاً خطيراً، ولا بد من إرساله ليراها ويودّعها الوادعَ الأخير.

أُرْسلَ العريفُ بإجازةٍ، وهو يأملُ من ربِّهِ أن يلحقَ بأمِّه قبلَ مفارقتها الحياة، ولما وصلَ كانت تنادي عليه وتطلبه كي تراه وتُكحِّلَ عينيها برُؤْيَته عند موتها، وهي تقولُ له: أوصيكَ يا ولدي أن تكون بطلاً ولا تتراجعَ أمامَ الأعداءِ فإني نذرْتُك للوطن، بعدَ ثمان بناتٍ فأنت له منذورٌ، فلا تُخْلِفْ لي وصيَّةً، فأسْلمتِ الروحَ وسطَ التكبيرِ والنواح،

وحضر [illegible] جنازة أمّه وقرأ آيات من القرآن [illegible]

ووضعت النساء وخاصة بناتها الرياحين وأكاليل [illegible]

فوق قبرها الزهر والزنبق وكان العريف يتلقى [illegible]

الأقارب والحاضرين الذين وفدوا من كل القرى [illegible]

لتعزيتهم، وهم يقدّمون الموائد طيلة ثلاثة أيام

وأما في موقع الدورية، فأخذ الشاب الجندي راتب قرآناً [illegible]

يحتفظ به ويبدأ بقراءة سورة البقرة على روح والدة العريف [illegible]

يتأسفون على عدم حضورهم جنازتها ومشاركتهم [illegible] العز[illegible]

ولكن قائد السرية أرسل باسمهم جميعاً برقيّةً تُعبّر عن [illegible]

بالمصاب الجللِ للعريف وأهله. قطع سليم إجازته بعد أن سمع

المذياعَ يُنبئُ بقدوم تحشداتٍ على خطِّ الجبهة، فهو يريد [illegible]

رفاقه في الدورية مهمتهم أولاً وتنفيذ وصية والدته [illegible]

ودّعَ زوجتهُ وقبّلَ ابنيه وجَمْعاً من أهله وأخوته.

وهم يدعون له بالسلامة والانتصار على عدوِّهم الصهيوني،

وأن يُحيطَه الله ورفاقه بعنايته.

ولما وصل إلى مقر السرية، استقبله القائدُ وعَزَّاهُ، وشكرَهُ على حضوره وقطْعِ إجازته، وتقديره للخطر المحدِقِ بهم جَرَّاءَ العدوانِ المتوقعِ عليهم من العدوّ المتَرَبِّصَ بموقعهم وبقية دفاعات الجبهة.

ولما وصلَ إلى مريضهم الجديد في الفصيلة، أسرعوا يعزونه بحرارَةٍ وأنّها أمهم جميعاً وقرؤوا لها الفاتحة، سائلين الله تعالى أن يكلأها برحمته وغفرانه.

أمرَت القيادةُ قائدَ السريَّة أن يستطلع تحركات العدوّ التي تصلُ تباعاً في عتمة الليل إلى المستعمرة المتقدّمة عندَ خّط وقف إطلاق النار.

شكّلَ الرقيب بأمرٍ من الملازم أول دوريَّةً على جناحِ السُّرعَة من الجُندي خلف والمجند محمد، وأمَرهما بالتسللِ بسريةٍ تامّةٍ ومعرفةِ ماذا تحملُ هذه الآليات التي تصلُ عَبْر الطريق البحريّ إلى خط الجبهة، ولما تجهَّزَا للانطلاق وجدا المجندَ راتباً قد أعدَّ نفسه لمرافقتهما في تنفيذ هذه المهمة العاجلةِ، فنظر إليه الرقيب ورأى حماسه واندفاعه، وهو يقولُ: لماذا لا تكلفوني بالمهمات فأنا قادرٌ مثلكم على تنفيذها، وأستطيعُ التَّخفّي جيداً فعندما كنا نلعبُ لعبةَ التخفي في زقاق الحارة، لم يستطع أحدٌ من رفاقي اكتشاف مكاني، فتبسمَ الرقيب وحيَّا به هذه الشجاعة ووافق على ذهابه معهما، ووسط مياه الوادي المؤدية إلى الطريق عند شاطئ البحيرة كان مسيرهم مرَّةً يغوصون في غديرٍ وأخرى يعثرون بصخورٍ كبيرة،

حتى وصلوا العبّارَة تحت الطريق المعبدة الموصلة إلى المستوطنة.

ولاحظوا مرورَ المجنزرات تهدُرُ متجهة شمالاً إلى خطّ التماس وهي

فارغةٌ، وتعودُ مُحمّلةً على عرباتِ نقلٍ كبيرة تعيدُها نحو الجنوب،

لتعاوِدَ الكرَّةَ في سَيرها للمستعمرة،

وهكذا تتكرَّرُ العمليةُ عدة مراتٍ، والهدفُ منها إدخال الرّعْب إلى

نفُوس القوات السورية المرابطةِ قبالتهم، وإيهامها بأنَّ العدوَّ يَحشُدُ

قواته للقيامِ بهُجُومٍ عليهم.

وقبيل الفجر حان موعدُ تراجعهم، فَزَحفَ كلٌّ منهم وراء الآخر حتى قطعوا موضعَ الخطرِ، وعند تجمعهم شاهدوا رتلاً من الأعداء يقتربُ منهم، يحملون أسلحتهم، يدورون على المحارس يغيرون المناوبين فيها، وعند مُرورهم بمحاذاتهم وهم مُلْتصقون بالأرض والظلام يحيط بالمكان، ولو أمعنوا النظر حولهم لرأوهم، ولكن عناية الإله تحفظهم!

تشجع المجند راتب وصارَ الدَّمُ يغْلي في عروقِه وهو يرى الأوغادَ مغتصبي فلسطين وقتلة النِّساء والأطفال العرب، وهم في متناول سلاحه، ولكن الأوامرَ بعدم الاشتباك معهم، فاسْتَلَّ خِنْجَرَهُ وتربَّصَ حتى مَرُّوا، ولَحِقَ بآخرِ عنصرٍ منهم وأطبق عليه وقطع نفسه وصوتهُ وجرَّهُ خلفاً، وأعمل به ((الشبرية)) نحراً وذبحاً والعريف يسرعُ إليه يكملُ المهمة!ويشير لهم بالاستعجال في انسحابهم قبل أن يَكتشفوا قتل هذا الصهيونيّ.

أخذوا سلاحَهُ ومنظارَه المتطوّرَ، وما يحملُ من وثائقَ، وأسرعوا يشدُّون الخطا نحو الشرق باتجاه الكمين، حيث ينتظرهم الرقيبُ بفارغ الصبر.

ولما قدَّموا تقريرهم وما حصَلَ معهم من قتل الصهيونيّ، وتقدَّموا بأوراقه التي كانت معه، فتعجَّبَ الجميعُ من جُرأةِ وشجاعة المجند راتب وهنؤوه بما أقدَم عليه!

ولكن الرقيب نبههُ، بأنك خالفت الأوامرَ!

فقد ذهبتم مُستكْشِفين لا مقاتلين، ورَدَّ المجندُ: لمْ أحتملْ يا سيدي رؤيتهم ولـمْ أتـمالكْ نفسي حتى قمتُ بهذا العمل!، فافعلوا بي ما شئتم؟ فأنا أرضيت ضميري، وأديت ما أوصتني به جدتي، لقد قتلوا جدّي الذي كان تاجراً في مدينة طبريا في فلسطين، واستولوا على متجره وأمواله في عام 1948م.

ولما اكتشف العدوُّ فقدان الجندي، سارعوا يبحثون عنه لعلهم يجدون

أثراً له؛ لأن العريف قد ألقى بجثته في السيل الذي سحبها مع مياهه

المتدفقة إلى البحيرة، فراحوا يفتشون في قاع البحيرة بزوارقهم

وغواصيهم.

أمر القائد الدورية بالتراجُع حتى حدود السَّريةِ، تحسُّباً من اكتشاف الأعداء لهم بعد هذه الحادثة، وطلب عدم ترك أيِّ أثَر يدُلُّ عليهم، سيَّرَ المحتلون دوريات تتبع آثار الأشخاص الذين قتلوا الصهيونيَّ، فدخلوا المغارة وَوَجَدوا فيها الغزالة التي كانت تبحث عن صديقها جاسم وَحَوْلها مجموعات الغزلان، فأيقنوا أن لا أحد في هذه المرتفعات، ولابدَّ أنَّ الفاعلين فدائيون انسحبوا ما بعدَ الحدود، حيث نشاطُهم قد ازدادَ وخطرُهم قد كبر.

وفي قرية حدوديَّـةٍ غير بعيدةٍ منهم، كانت مظاهرُ الفرحِ قائمة واستعدادات الزَّفّةِ متلاحِقة، إنه العريسُ الشاب الفتى خالد أخُ الرقيب أحمد وزفافُهُ غداً على ابنة مختار القرية، وكان لابدَّ من مشاركة أخيه الرقيب العتيد والجميع ينتظرون بفارغ الصبر. مَنحهُ الملازم أول إجازة سريعة ليحضَر هذا الاحتفال المهم في حياة العائلة.

ولكن الرقيب أخذَ معه المجند جاسم؛ ليكون ضيفه في هذا العرس، فهو يحبُّـه أولاً وليعوّضَ له عن عدم رؤيةِ أهله منذ زمنٍ طويل.

ولما وَصَلا القرية كانت الأفراحُ في أوجها والدبكات يتناوبُ عليها الشبابُ والرجالُ في الساحات، والنارُ مشتعلةٌ تحت القُدور التي تحتوي على لحم وطعام يكفي المحتفلين من أهلٍ وضيوف، لقد ذبحوا عشرة خراف سمانٍ وعجلاً، ولما اكتملت حَلقةُ الدبكةِ، كان الرقيبُ أحمد على رأسها وبجانبه المقاتلُ المجندُ جاسم، وعازفُ اليرغولِ يعزف الأغاني والنغمات الشعبية، والترانيم المثيرة للحماسة، وقارعُ الطبل يشجّعُ على الإثارة، وصوتُ المغني يترافق مع هذه الجوقة الفرحة، وعلى الجانب الآخر كانت الفتيات ينشدنَ الأهازيج بأصواتٍ جماعيةٍ أخّاذةٍ وهنَّ يردِّدْنَ:

أحمدْ يا حامي الحدودْ سيفكْ طايلْ عاليهودْ

في الوَغى سبعٌ عنيدْ أنتَ وجاسم والجنودْ

فلما سمع المجندُ اسمه يتردَّد على ألسنة المُغَنّيات، تشجَّعَ وتناولَ مسدسه وبدأ بإطلاق الرصاص في الهواء، ولكن الرقيب أحمد أوقفه عن المتابعة بسبب مَخاطره على الناس. وقالَ له:

إنها مخصَّصَةٌ للأعداءِ، وَفِّرها يا رفيقي للمعركة. وهنا تنبَّه المجند بأن المعركة قادمة لا محالة، وتمنى لو يُدْرِكها قبل أن ينهي خدمته الإلزامية، ويرحلَ إلى أهله.

ولما حان وقت الغداء، احضرت المناسفُ وعلى كل منها خروفٌ بلحمه وشحمه والرَّأسُ فوقهُ وصُبَّ السَّمن العربي والمرَقُ، وكان جاسم إلى جانب الرقيب والمختار اللذين احتفلا به، فهو ابن القبيلة العربية التي تعودت الكرم والحفاوة بالضيوف.

وبعد الولائم تتابعت الأفراحُ والدبكات، وَزُفَّ العريس وبدأ المحتفلون يضعون في سلةٍ قطعاً من الأوراق النقدية «نقوطاً» وهو متعارف عليه في هذه المنطقة، والمنادي يُحيي من تقدموا بهذه الأوراق ويذكر أسماءهم! فتشجع الجاسمُ وأخرج قطعة الخمس مئة ليرة وقدّمها، وارتفعت الزغاريدُ وصاحت المناديةُ: أويها:

يا جندي يا جاسم فيك الخيرْ

يا ابن العشاير عند الديرْ

أنت القائد يا أحمدْ يا أميرْ

كلَّ رجَالك تُهجُم مثل الزيرْ

وانتهى الزفاف وذهب الرقيب إلى بيته حيث زوجتُه وأولاده الذين فرحوا به كثيراً، وأما جاسم الرّفيقُ المحتفى به، فكان في ضيافة المختار ((أبو محمد)) وسهر مع أهل القرية يتبادلون الأحاديث ومنهم من يعرف عشيرته وأهلهُ، خاصة المختار عندما كان في حرس الحدود.

ولما طلع الصبح، سمعوا صوتَ الرَّشاشاتِ وقنابلَ المدافع باتجاهِ خط الحدود في الوادي، فما كان منهما إلّا الإسراع والالتحاق برفاقهم للمشاركة بهذه المعركة إذا لزم الأمرُ، رغم أن العريف سليم قادرٌ على التصُّرفَ وقيادة المجموعة.

وما إن وصلا مقرَّ السريَّةِ، حتى تبين أن الاشتباك حَدَثَ في مكان آخر، ولكن الاستنفار الشديد قائمٌ والقائدُ متوثبٌ هو وجميع أفراد قطعته.استقبلهما وهنأهما على استجابتهما لنداء الواجب، وقدَّم التبريكات للرقيب بمناسبة زفاف أخيه.

وتوجه بالحديث للمجند جاسم قائلاً: سوف أمنحك إجازة يا جاسم لتتفقد أحوال والديك وإخوتك، وتعود بعدما تراهم وتؤمِّن عليهم، قال: يا سيدي، إن موضعهم غير معروفٍ الآن وهم يتنقلون من مكان إلى آخر طلباً للمرعى الذي تحتاجه القطعانُ، كما أن مكانهم بعيد ويحتاج إلى أيام للوصول إليه، فدعني يا سيدي حتى نهاية خدمتي فأذهب وأبحث عنهم، فتعجب الملازم أول من جوابه وقدَّر له إخلاصه وشجاعته التي يتحلى بها.

وفي ظلام الليل، توَجَّه الاثنان نحو دَوريتهما مزوَدَين بتعليمات القائد ومؤناً حملها المجندُ على ظهره وهم بحاجة ماسة لها، ولما وصلا مكان الكمين، فرح بهما الجميعُ، وباركوا للرقيب زواجَ أخيه، وقدَّم هذا صُرراً من الملبس لكلٍّ منهم.

قدم إلى مقرّ السريَّةِ مجموعةٌ فدائيةٌ مكلفةٌ بمهمةٍ داخل الأرضِ المحتلةِ على شاطئ البحيرة، أمرَ القائد مُرافقتهم من أحد جنود الكمين، فاختارَ الرقيبُ الجنديَّ خلف لهذه المهمة،

وفي الهزيع الأخير من الليل، توجه عناصُر الدورية إلى المكان المستهدف وبكل هدوءٍ وجُرْأةٍ، وضعوا لُغْماً في وسط الطريق المؤدي إلى المستوطنة، وانتظروا حتى مَرَّت مجنزرَةٌ للمُحْتَلين، وفيها العديدُ من العناصر، وانتظروها تقتربُ من مكان اللغم فجّروه بواسطةِ سلك مربوطٍ به، وكان مُدَمِّراً لهذه الآلية وأوقع العديد من الصهاينة التي تُقلهم بين قتيل وجريح، وهم يصرخون من الخوف! ومن بقي منهم على قيد الحياة يلوذُ بالفرار مذعوراً، فأسرعَ الفدائيون يجمعون الأسلحة من القتلى، ويأخذون الوثائق التي يحملونها، والجنديّ خلف يحمي ظهورهم ويتربصُ بأي عدوٍّ يتقدمُ لنجدتهم، ولما شاهدَ مجموعةً تُسْرعُ نحو موقعِ الانفجارِ تريدُ إنقاذَ جرحى الصهاينة وملاحقة الفدائيين، تصدَّى لهم وصبَّ عليهم زخّات من رصاص رشاشه الذي نَصَبَهُ غيرَ بعيدٍ عن المجنزرة المستهدفة، فأوقع فيهم القتيلَ، والجريح.

وأثناء انسحاب الفدائيين لاحقتهم المجموعة واشتبكت معهم والجنديُّ المِقدامُ يَرُدُّ هجومهم المعاكس، فوقع أحدُ الفدائيين جريحاً في أرض المعركة، وكان جُرحُه بليغاً فَتَقَدَّمَ منه الجندي خلف وربط ضماداً على جُرحهِ الغائرِ وحَمَلَهُ على ظهرهِ، وطلب من الفدائيين الآخرين حماية انسحابه مع الجريح الذي بترت قدمه جراء انفجار قنبلة هاون ، فتناولها ورمى الحذاء في مجرى السيل، وهو القوي في جسمه وإرادته وعزمه وتصميمه، ولما لاح الصبحُ بنوره الوضاءِ، كان الجميعُ يدخلون السرية والقائدُ وجنوده منتشرون تَحَسُّباً لدخولهم المعركة، فأسرع السائق المتواجدُ يحمل المصابَ إلى أقرب مشفى، بعد أن قدَّموا له الإسعافات الأولية في مستوصف السرية، وراحوا يرقبون العدوَّ وهو يخلي خسائره البشرية والمادية من أرض المعركة، ويتوقعون منه الشَّرّ والعدوان، فأقاموا الاستحكامات وَوَضعوا نقاطاً للاستكشاف وتهيئوا لمعركةٍ متوقعة، طالما أعدَّ لها الصهيونيون،

وعلمت بها قيادة الجبهة على المخافر المتقدمة المشرفة على البحيرة.

ساد الهدوءُ المكان وتململ الجنود وخرجوا من استحكاماتهم، وظهر الصهاينة يحتفلون بأعيادٍ لهم، وكان يوم سبت مشمسٍ انقطع فيه المطرُ عن الهطول، ومياهُ البحيرة صافيةٌ هادئةٌ، وزوارقهم تنتشرُ فيها تسري مع أمواجها المتلاطمة، وهم يتمتعون بما وهبه الله لهذه المنطقة العربيَّة من جمالٍ وصفاءٍ وعذوبةٍ، فاستولوا عليه واغتصبوها من أهلها الذين أصبحوا مشَّردين في أرجاء الدول المجاورة، يطلبون العون بعد أن كانوا يُعطونه لطالبيه، ويرجون الحماية بعد أن كانوا يأمنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وعلى الآخرين.

رأى القائدُ في هذه فرصةً لإراحة جنوده وتمكينهم من زيارة سريعةٍ لأهليهم، للتخفيف من ضغطٍ وقع عليهم لمدة طويلة من الوقت، واستعداداً لأيام قادمة فيها توقعاتٌ لأحداثٍ ومعارك مع هذا الدَّخيلِ المتغطرس بما ملك من أسلحة وإمكانات.

منحَ الرقيب، المجندَ راتبَ والجنديَّ زاهرَ إجازةً لمدة يوم لزيارة الأهل لأخذ قسط من الراحة، فتوجها على جناح السرعة يريدان استغلال كلِّ دقيقة من هذه الإجازة القصيرة، أما الجنديُّ خلف فكان فخوراً بما قام به من بطولةٍ وتحمُّلٍ، وما أدَّاهُ في إنقاذ الفدائي الجريح وهو يتألم لما أصابه من قطع قَدَمه، وتمنى لو يعيدها الأطباء له، بعد أن أحضرها معه ولفها بلفافةٍ وحافظ عليها من التلف. وخاطبهُ الرقيب بقوله: أيها البطلُ، سأمنحك إجازة طويلة في أقرب فرصة.ولما وصل الشَّابُّ المجند راتب إلى مدخل دمشق، انشَرَحَ قلبُهُ واغرورقَتْ عيناهُ بالدمع من كثرة الأشواق التي يَزْخَرُ بها صدرُهُ لحبّ دمشق وأهليها، وقالَ في نفسه: أيتها المدينة العريقة في القِدَم، ومالكة التاريخ عبرَ العصور من الأموريين والآراميين والأمويين والعباسيين والمماليك وصلاح الدين والظاهر بيبرس، وأنا ابنك وابنُ سكانك المخلصين للوطن وواحدٌ من آلاف الشباب

الذين نذروا أنفسهم للدفاع عنك،

إن معركتي هناك في قلب الوادي البعيد ومعي مجموعاتٌ من الجنود العرب السوريين، هي معركتُك ودفاعٌ عن حدودكِ وأنتِ تُمثّلينَ كلَّ البلادِ وسُكانها، فإنِ اخترق العدوُّ الدفاعات العربية فقد أصبحت في خطر.

وما إن وصلَ ودَقّ باب دارِه حتى فتحت له والدتُه التي ضَمَّتْهُ إلى صدرها ودُموعُها تذْرفُ من الفرح بسلامَته وعودته إليها، وهي تتابعُ أخبار المعارك في الجبهة وعلى خط النار، ورأت فيه رَجُلاً شامخاً وجندياً شجاعاً كما كان جَدُّهُ والد أمّه وهو يُرابِطُ في الغوطة أثناء الثورة على المستعمر الفرنسيّ مع الثائر حسن الخراط، ورغم ذلك فهي تراهُ ابنها الأصغر الغضَّ الطّريَّ المدَلل، وراحت تشمُّ رائحته وعبَقَ أنفاسه وتلثُمُ وجناته السُّمرَ، وهي ترى فيها سُمْرَةَ الأرض التي يَحرُسُها وينامُ عليها، وقالت: أين بياض وجنتيك وحُمرةُ خَدّيك ولمعانُ شعرك الطويل المسَرَّح؟

قال: يا أمي، إن ابنك أصبحَ مُقاتلاً فلا تحزني!، فأنا دعاسٌ في الظلمة ودَوّاسٌ للمخاطِرِ، وطَعَانٌ للعَدُوّ، فقد أَخَذْتُ بثأر جدي الذي قتلوه في مدينة طبريا في متجره هناك، وهذه شارةٌ من الجندي الصهيوني الذي صرعتُه.

اجتمعت العائلة فرحةً بقدوم ابنها، وكان يُحدّثُهم عَمّا فعله في غيبته وما تَعَلَّمَهُ من رؤسائِهِ وزملائه، وأن الخدمة العسكرية، مصْنَعٌ للرجال وعنوانٌ للرجولة.

وأَخَذَ يَصِفُ المنطقة التي يُعسْكِرُ بها، وأنها جنَّةُ الله على الأرض، فيها الماءُ الصافي والخضرةُ والجوُّ المطير والينابيعُ الدّفّاقةُ والمناظرُ المبهرة للأنظار، والأزاهير المنثورة كَبِساطٍ سندسيٍّ يمتدُّ على وجه الأرض، وعصافير مزقزقةٌ مرفرفةٌ في الفضاء وحيواناتٌ تقفزُ هنا وهناك وأَجْمَلُها الغزلانُ والظباءُ في قطعانٍ مُتآلفةٍ، فكيف لا نُحبُّ هذه الأرض؟!

هذا الوطن إنه سَخيٌّ علينا، وله منا أن نبذُلَ الروحَ في سبيلهِ والدفاع عنه.هيأت أمُّه له المآكل والمشارب التي يُحبُّها، وغسلت ثيابه واستحمَّ في حّمام السّوقِ الشهير (حمام نور الدّين الشَّهيد) وحوله تجمَّعَ الشَّبابُ والأصحاب يستمعون إلى حديث المجند الذي كان بالأمس شاباً طرياً غض العود رقيق الشعور سهل المعاشرة، فإذا به اليوم من القبضايات الذين يشارُ لهم بالبنان، أما والده فصارَ يفتخر به مزهواً، وقد أنجب بطلاً يرفعُ رأسه بين الناس وفي المجالس. وهناك في جنوب سورية وصل الجندي زاهر فخوراً بلباسه وعمله وما أنجزه في مقارعة المعتدين، ورأته خطيبته التي كانت ترقب الطريق تنتظرُ قدومه بفارغ الصبر، وكان اللقاء الجميل لمحبوبين بعد فراقٍ دام طويلاً، وكان تلاقي القلوب والعيون والمشاعر الجيَّاشة، وحمدت شهلا ربَّها على سَلامة خطيبها ورجوعه منتصراً معتزاً بما حققه هو ورفاقٌ له على خط النار مع العدوّ،

واصل طريقهُ حيث والداه وإخوته الذين فرحوا بقدومه وأخباره التي ترفع رؤوسهم بين أهل القرية في جبلٍ يقدّسُ الشجاعة والدفاع عن الوطن. وما أن استراحَ الجنديان بين أهلهم وأصحابهم، حتى حان موعدُ الرحيل إلى الغرب حيث مكامن الرجال عند خط النار. وحمل كلٌّ منهما مأكولات شهية لرفاقهم في الدورية، وعادا إلى حيثُ الكمين وسط الوادي وبين الكهوف يتخفون حتى لا يراهما العدوُّ المتربّصُ بكلِّ عربيّ.

اطمأنَّ الرقيب على التحاقهم بالدورية وقد اكتملَ عقدها، وحمدَ الله على سلامةِ هذه المجموعة التي يقودها طيلة هذه الفترة، وهذا يعود لشجاعتهم والتزامهم بالأوامر والتعليمات العسكرية.

هتف لهم القائد بأن يكونوا في استعداد تام فالعدو يحشدُ قواتهُ ليقضَّ على المواقع الشرقيّة في المرتفعات المشرفة على البحيرة، والتي تتحكمُ بالطريق المؤدية إلى الحمة السورية، وأرسل كمائن إضافية زرعها في كل المنطقة عن يمينهم ويسارهم وخلفهم، وأعطى أوامره بالاختباء التام وانتظار التعليمات.

وفي مقر السرية: كانت العناصر تحفر الخنادق وتُقيم المتاريس وتنشئ الاستحكامات ، خاصة بعد أن وصلتهم تعزيزاتٌ إضافية من الرجال والعتاد.أما الضابط المرشح فكان يشرف على هذه التحصينات وتفكيره مشغولٌ في أمرين: أمرُ مُقاومةِ العدوان والانتصار عليه والحفاظ على قطعته من الخطر المحدق بهم، والأمرُ الثاني الذي لا يقلُّ أهميَّة عن الأول، فهو يرى في هذه البلاد والأرض التي يحفر فيها تاريخاً مجيداً مدفوناً في جَوْفها فكلُّ ذرَّة ترابٍ تُخفي تحتها حضارَةً كانت قائمةً وسائدةً في هذه البقعة، إنها آثارُ مدينةٍ عريقةٍ ومملكةٍ سادت عبر تاريخ قديم،

إنه يكتشف آثاراً هامةً وقطعاً من سيوفٍ ورماحٍ ونقودٍ، ورُفع فيها الكثير من آثار الأقدمين من أجداد العرب الذين دافعوا عن هذه الديار ضدَّ الغزاة، وقدموا أرواحهم فداءً لها، وهذه قبورهم تكشف عن حروبهم وتضحياتهم.

أم القائد، فأمر بإرسال كل هذه المكتشفات إلى القيادة التي ترسلها إلى متاحف الوطن.

قال المرشح: إنهم قد سرقوا الآثار والمكتشفات الغائرة في القدم من أرض فلسطين وغيرها، كما اغتصبوا المقدسات بما فيها من أوابدَ ومكتشفات، وهاهم يريدون التمدُّدَ شرقاً وغرباً لأخذ المزيد، فكونوا يا إخوتي سداً منيعاً في وجههم، وإلحاق الهزيمة بهم وإفشال مخططاتهم التي رسموها لمنطقتنا منذ مئات السنين.

وفي ليلة حالكةٍ بالسواد، كان هديرُ مجنزرات العدو الصهيونيِّ ودباباته تصُمُّ الآذان، وقد تَحوَّلَت السماءُ إلى نهارٍ وهو يطلقُ العشراتِ من القنابل المضيئة التي أنارَت الأرض، وكشفت ما فيها من تحصينات ودروبٍ ووديانٍ وهضاب.

لقد بدأ هجومه المتوقع على الهضاب المواجهة له في الحدود الشرقية الجنوبية من الجبهة.

بعد أن أعدّ ما كتائب وآلياتٍ ومدافع وفرقاً من الكوماندوس المدربين على حروب الجبال. إن فيهم من شارك بمعارك الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء في أوروبا وغيرها

بدأ القصف المدفعيُّ للمنطقة. والقذائف تحرق وتحصد قتلى وجرحى خاصة بين المدنيين الآمنين النائمين في هجعة الليل ببيوتهم ودورهم. وتَهْدِمُها على ساكنيها.

ردت المدفعية السورية عليهم ورشقتهم بدفعات من القنابل المركزة على تجمعاتهم وتحشدات آلياتهم التي كانت تحاول التقدم لاحتلال الأرض العربية في المرتفعات. وكتائب الجيش العربي وعناصر المقاومة الشعبية يتمركزون وسط خنادقهم واستحكاماتهم، لردّ هذا العدوان وقتل المهاجمين عندما يقتربون منهم

أمَرت القيادةُ عناصرَ السريَّة القريبة من مكان المعركة بقيادة الملازم أول، المشاركة بصَدِّهم وإرسال مجموعاتٍ تهاجمُ مؤخَّرةَ العدوِّ وميمنته التي تواجهُ السريَّة، قال القائدُ: جاءت فرصتكم أيها الأبطال!. فهبوا نحو عدُوِّكم واضربوه كما رغبتم. فاليومَ يوم المعركة التي انتظرتموها وحان وقتها! ورَتب الدوريات وأعطى كلاً خطة هجومه، وحملوا أسلحتهم وذخائِرهم وتوجهوا جنوباً نحو المعركة المستعرة. أُمِرَ الرقيبُ أحمد وعناصرهُ بالتقدم أولاً واستكشاف الممرات التي ستجتازها السرية، وقد يكون بها عدوٌّ متربصٌ يأخذهم على حين غِرَّة.

وصلتْ مجموعاتُ الدعم وإرباك الأعداء حدُود انتشار مَيسَرَتهم، وبدأت بالهجوم عليها وإلحاق الخسائر في أجنحتها ومؤخرتها، والعدوُّ لم يحسب لهم حساباً، فارتبكت قواته المهاجمةُ للمواقع في المرتفعات الجبلية المحيطة بالحمة السورية،

وتوجهت فرقٌ للصهاينة لملاقاتِ المهاجمين عن يساره وخلفه، وكان الملازم أول يقود المعركة ويُوَزّعُ المهمات على عناصر السرية، أما الرقيب أحمد ودوريته فقد اشتبكوا مع دبابتين وفصيلة مُشاة، ودارت معركة رهيبةٌ، أعْطَبَ المجند جاسم إحدى الدبابتين ورمى عليها قنبلةً انفجرت بها، وتساقط المعتدون منها والنيران تشتعلُ في ثيابهم، ورصاصُ الرشاشات يحصدهم فيقعُون صرعى، أما الجنديُّ خلف فقد انقضَّ على مجموعةٍ كانت تنصُبُ رشاشاً باتجاه قواتِ المخفر السوري الذي كان يَصُدُّهم ويرشقهم بوابلٍ من رشاشه الثقيل، وتمكن هذا الجنديُّ الشجاع من الوصول إليهم، وباغتهم من الخلف وأعمل فيهم سلاحه المتفجر من القنابل الهجومية والحارقة وقد خرّوا صرعى،

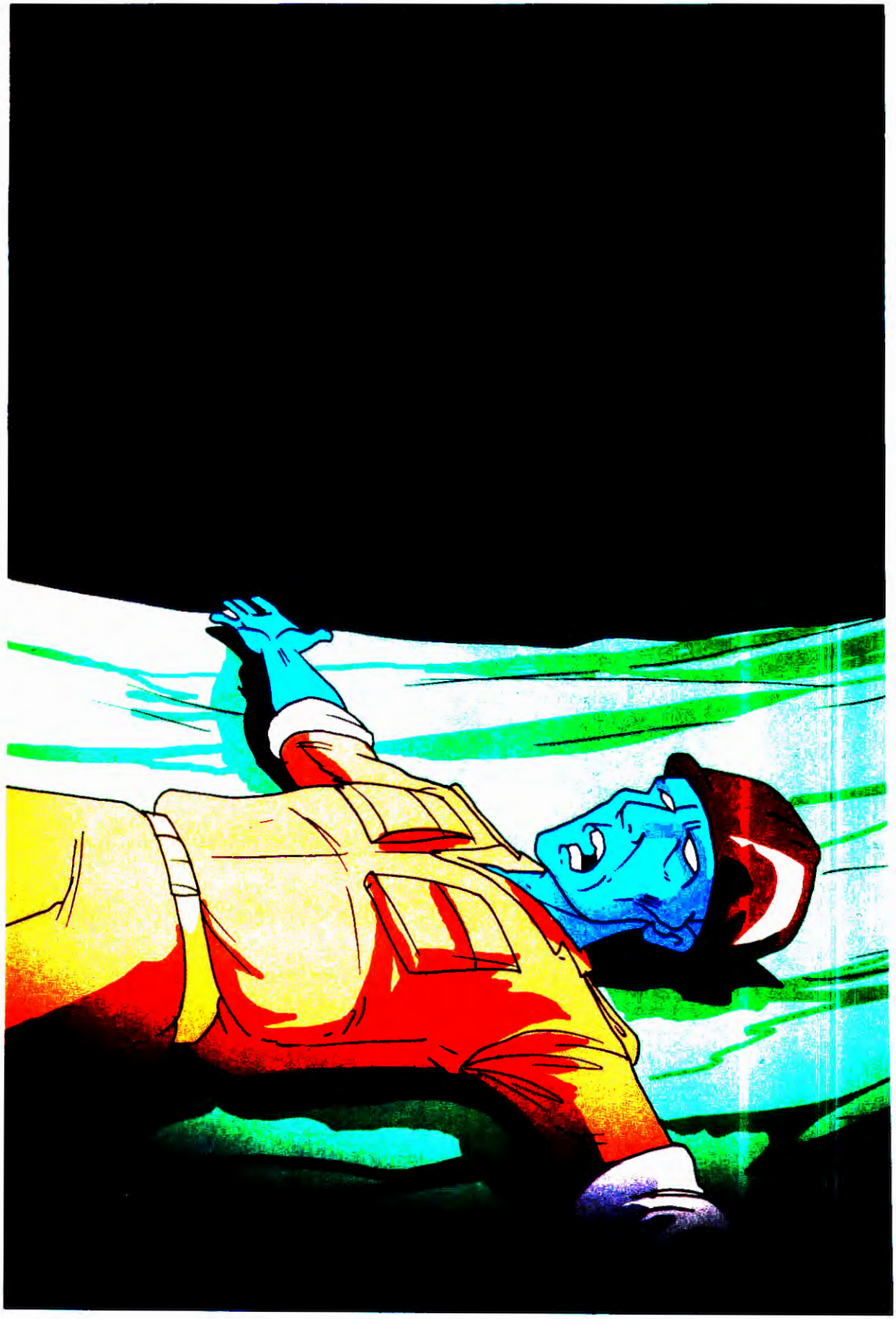

فاستولى على رشاشهم وعاد يلتحقُ بقائده يحمي ظهره وهو يهاجمُ ويشتبك مع الكوماندوس الذين توجهوا لفكّ الحصار عنهم من قبل هذه السرية التي لم يكونوا قد حسبوا لها حساباً، وقد أوقعت فيهم خسائر فادحة وأربكت هجومهم،

كمـا رأى الملازمُ مجموعات معادية تنزل من الزوارق الحربية وتلتحق بالمعتدين، وكانت وجهتها نحو مؤخرة الهجوم وميسرته.

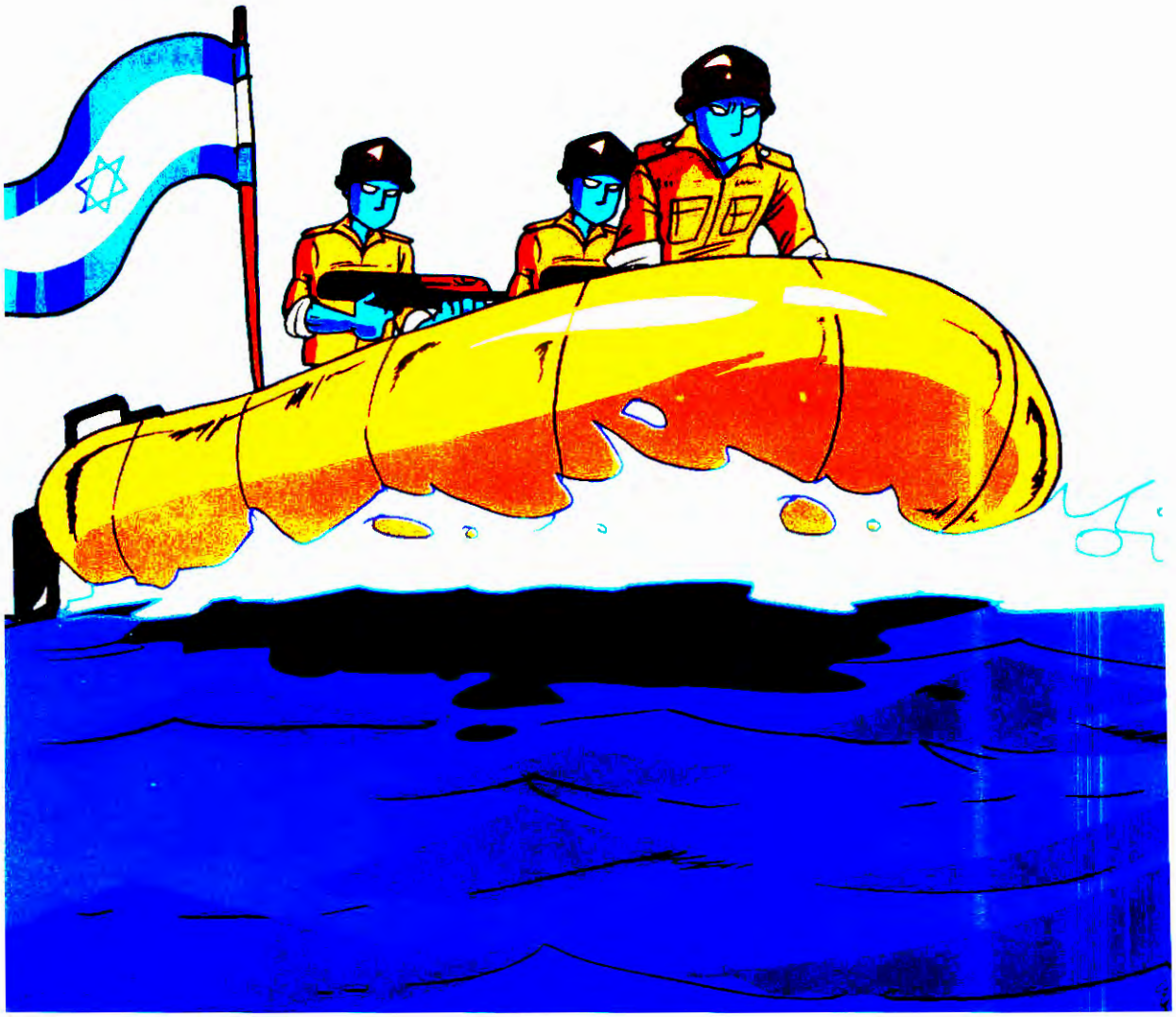

وجه الملازم أول، المرشح والعريف سليم والمجند زاهر والمجند جاسم لملاقاتهم والتعامل معهم على عجل ودون أن يروهم، وسرعان ما لبّوا أمرَهُ، وكمنوا في طريقهم، ولما التحموا معهم أمطروهم بوابلٍ من الرصاصِ والقنابل، أما المجندُ جاسم فأصابته رصاصةٌ في صدره وصار الدمُ ينزف بغزارَة، فأسرع إليه المجندُ زاهر يحمله إلى خلف خطوطِ القتال، ويضعه في مكانٍ أمين عن متناوَل العدوِّ، وأحضر المَمَرّض كي يضمدَ له جُرْحَهُ الغائرَ.

أمَرت القيادة جميع العناصر التي تعملُ خلف خطوط العدو بالانسحاب حتى يتسنى لها قصف تجمعات المهاجمين بالمدفعية؛ كي لا تسقط القذائف عليهم التي تطلقها من المرتفعات الشرقية لأرض المعركة.

أعطى الملازم أول التعليمات بالانسحاب حتى حدود السرية.

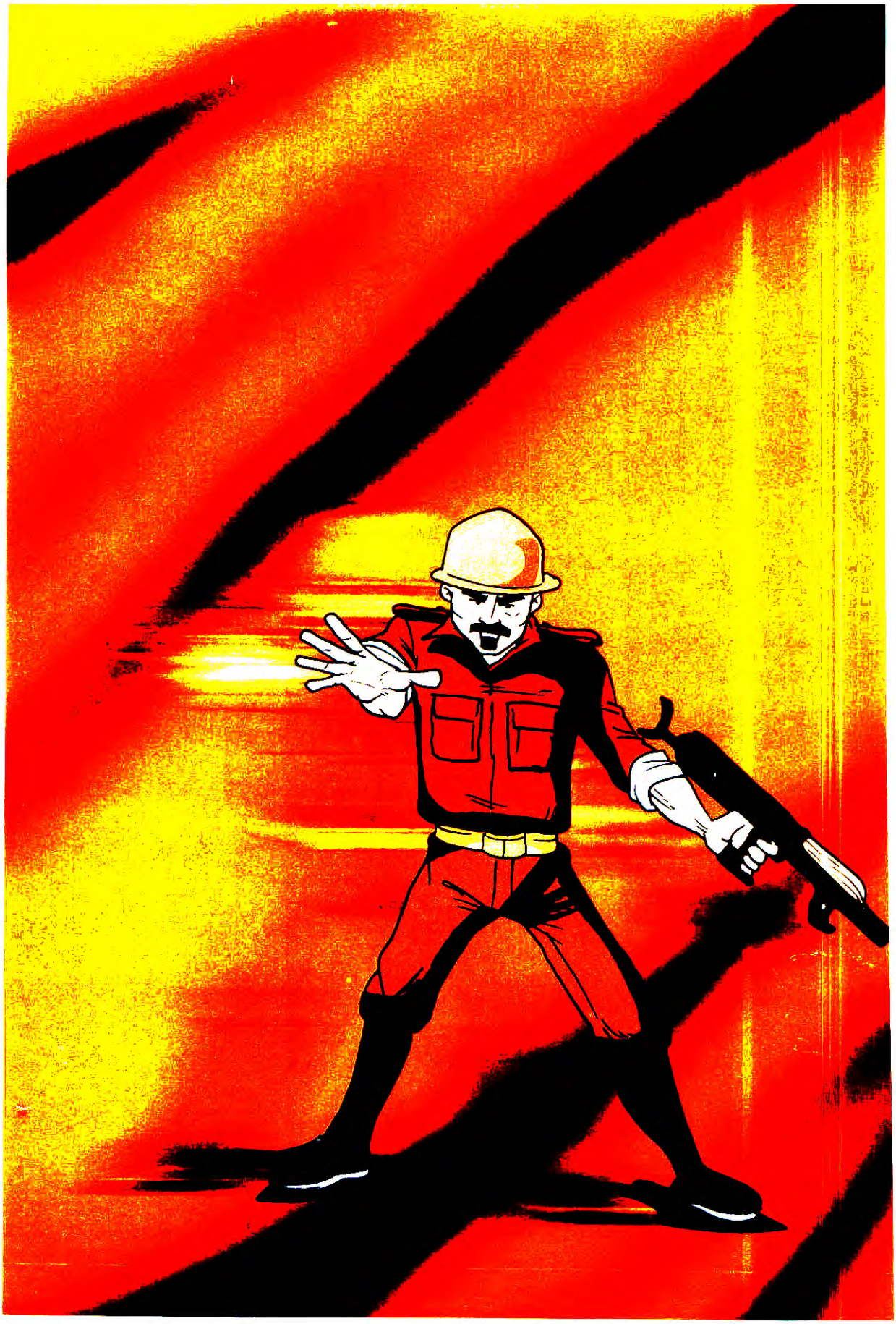

وكان المقاتل زاهر قريباً من إحدى المجنزرات ينتظر الفرصة لينقض عليها، فقال لرفيقه راتب الذي كان إلى جانبه: كيف أنسحبُ وأتركها؟! لابد أن أدمرها وأقتل من فيها، لأنتقم لأخي جاسم لقد أصابوه وهو في حال الخطر، وطلب منه حماية ظهره أثناء مهاجمته لها، فاقترب منها، وألقى قوقها وتحتها وعلى جوانبها القنابل التي يحملها، فتفجَّرت بها وتصاعدت النيران تحرقها، وارتمى من فيها خارجها بين قتيل وجريح وهم يتلاكضون كالفئران.

فعمل بهم رشاشه ومن خلفه المقاتلُ راتب يحصدهم ويصبُّ عليهم حِمماً من سلاحه الرشاش، ولما انسحب الجنديُّ زاهر، وجد رفيقه الذي غطى هجومه قد أسلم الرّوح جراء رصاصةٍ عدُوّةٍ أصابته في رأسه، ولم تترك له فرصةً حتى يوصي أخاهُ زاهر بما يجولُ في صدره من المشاعر الجياشة لأمه وأبيه وإخوته، وقد رفع سبابته وكان يُردِّدُ:

شهادة أن لا إلــه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

حملَ المقاتل زاهر أخاهُ ورفيقه في السلاح الشهيد راتب، ووجد رقيقاً خفيفاً وكأن أحداً يحمل معه فلعلها الملائكة، ولما وصل إلى التجمع عند زملائه، ومعهم الجريحُ جاسم الذي نظر إلى جثة أخيه وحزن وبكى عليه ولم يبكِ على حاله، وهو يعاني من جرح غائرٍ، ويقول ويُردّدُ من مرثية الشاعر لنفسه:

أيا صاحِبَيْ رَحْلي دَنا الموتُ فَانْزلا

بَرابيةٍ إني مُقيمٌ لياليا

تذكرتُ من يبكي عليَّ فلمَ أجد

سوى السيف والرمحِ الرُّدينيِّ باكياً

وأشقرَ مَكْلوماً يجرُّ عنانه

إلى الماء لم يتركْ له الموتُ ساقياً

ولكن رفيقه زاهر هَدّأ من روعه

وقال: سوف تشفى وتعيش بعون الله.

وهناك في ربوع البادية على بُعد مئات الكيلومترات، كانت العَشيرة التي ينتمي إليها المقاتلُ جاسم تنتقل من موقع إلى آخر مع أمه وأبيه الذين يرعاهم صديقهُ المخلص، إنه ابن خالته وهو يُنَفِّذُ ما أوصاه به رفيقُ عمره وقريبه.

وقد استفاقت والدته من نومها وهي مذعورةٌ، وذكرت ربَّها وقرأت الفاتحة، وتمنت سلامة ابنها المقاتل على خط النار، وقد رأته في رُؤْيا وهو يُمسك ثعباناً ويَخْنُقُه من رقبته والثعبان يَلف على جسده ويَعْصُرهُ، وهو ينادي على أمّه ويقولُ: لقد قتلتُهُ فلا تحزني يا أمي عليَّ إذا استشهدت فالشهيدُ مكرَّمٌ عند رب العالمين.

أما ابنة عَمّه وحبيبته، فكانت تنشدُ أشعاراً ملؤُها الشوقُ والحنين لرؤية جاسم وهي تنتظر عودته سالماً، ولكنها لم تَدْرِ ماذا يدور في المعركة وما جرى لجاسم، وإن ربكَ أعلم وهو المقدّرُ:

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ صدق الله العظيم.

وكانت تناجيه والأسى يبدو على صوتها وهي تنشد:

يا وليف الروح وين أراك يا وليفي

صار الجفا بيناتنا والدَّهرُ يَزخُرُ بالصّروفي

يا من ترى تيجي بلادك سالماً وعيوني تشوفي

وفي أرض المعركة غير المتكافئة بالعتادِ والعُدَّةِ، إلا من شجاعة يُبْديها المقاتلون الأشاوسُ الذين يَرُدّون هجمات الصهاينة بسلاحهم الخفيف وقنابلهم المتفجرة وهي تنفجرُ فتحصدُ المعتدين، وتشبَّثوا في أرض المعركة وصاروا كالقدر للمهاجمين فيُريقونَ دماءهم ويأخذون أرْواحهم، والمدفعيةُ السورية تقصفهم من فوقهم وخلفهم وعلى التعزيزات التي جلبوها من البَرِّ وعبرَ البحيرة.

وفي مقر السرية وسط الوادي، تجمَّعت العناصر حولَ جُثّةِ المجند راتب هذا الشاب ابن المدينة التي قدَّمتْ الكثير من الشهداء لهذا الوطن،

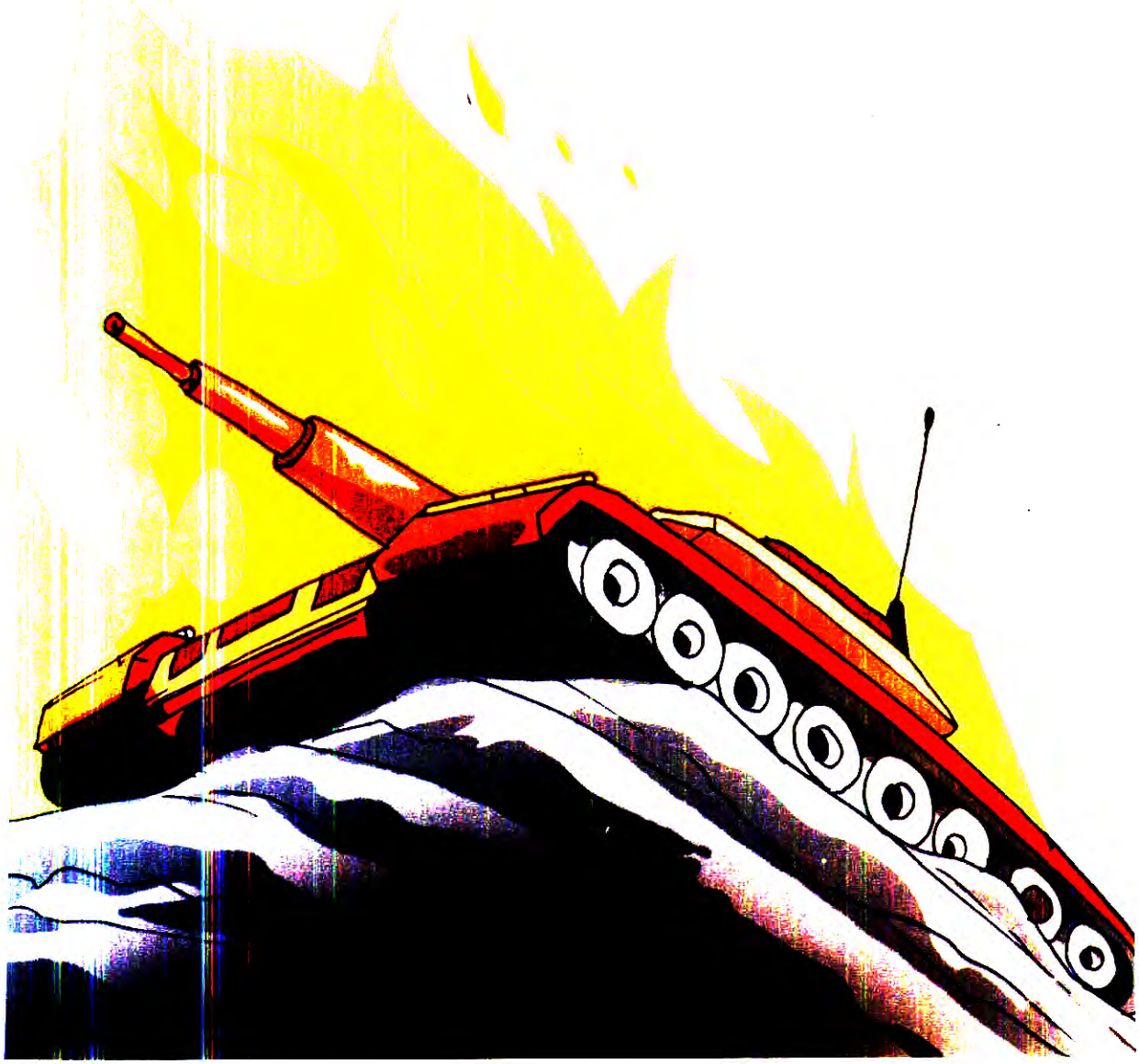

وقرأ الجنديُّ خلف سورة الفاتحةِ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

وكان الجريح جاسم يتمنى اللحاق بأخيه راتب حتى ينالَ مرتبةَ الشهيد عند ربه.أُرْسِل الجريحُ على عجلٍ إلى أقربِ مستشفى ميداني خَلْفَ جبهة القتال التي ما زالت مستعِرَةً وأُوارُها يوقعُ القتلى والجرحى، وانتشرت السريَّةُ في الجبال والشعاب المحيطة بها تحسُّباً من هجوم عليها، وتركوا الشهيد مُسَجَّىٰ بالمستوصف بحراسةِ المجند زاهر. وهناك في الحارة القديمة من دمشق، فتح والد الشهيد راتب المذياع في الصباح الباكر، وسمع من إذاعة دمشق عن أنباء المعركة التي دارت طيلة الليلة الماضية، وأن العدوّ قد رُدَّ على أعقابه منهزماً تارِكاً قتلى ومعداتٍ في أرض المعركة ((بالتوافيق)) وقد استشهد من قواتنا الباسلة عَدَدٌ وجُرحَ عددٌ آخرُ، وهم يردون الهجومَ عن الأرض السورية الغالية.

تناولَ والد راتب القرآن الكريم وبدأ يقرأ سورة البقرة، ثم صلى ركعتين، داعياً ربَّهُ أن ينصُرَ القوات العربية ضدَّ عدوٍّ مغتصب مزوَّدٍ بكلِّ أدوات القوَّةِ والجبروت. وكان يُرَدِّدُ «اللهم ردَّ لي ولدي راتباً سالماً منتصراً، أو شهيداً وقد أدّى واجبه في المعركة».

هدأت الجبهة وسكت الرصاص وخَرِسَتْ الانفجاراتُ في ساحة المعركة التي اشتعلت طيلة الليل، ولم يظفر الصهاينة بأي هدف من هجومهم بل خَسروا وتكبدوا قتلى وجرحى ومعداتٍ، وانكسروا وانسحبوا إلى الأرض المحتلة، أَمَرت القيادة بأخذ الشهداء إلى أهليهم ومنهم الشهيد راتب، ومشت الجنازة بعدَ أن ودَّعها رفاقُه في الفصيلة والسرية، وكان الرقيبُ والجنديُ زاهر أكثر المتأثرين على فقده، وهو البطل المتحمّس للقتال رغمَ طراوة عوده وصِغَر سِنّهِ وقلة خِبرَته في المعارك، لكنه كان الشجاعَ والمقدامَ.

أدّوا التحيّةَ العسكرية له والجثمانُ يسير مغادِراً الوادي الذي ضَمَّهُ أشهراً وأياماً ولياليَ طوالاً، أَحبّهُ كما أَحَبَّتْه الأرضُ التي نامَ عليها والشجرُ الذي أظله وخبّأه.

سارَ مع الجنازة وَفْدٌ يتألفُ من المرشح والعريف سليم والجندي خلف، ولما وصلوا مدخلَ دمشق وتوجهوا نحو قيادة حاميتها وَتَعَرَّفَ قائدُ الموقع على اسمه وعنوانه،

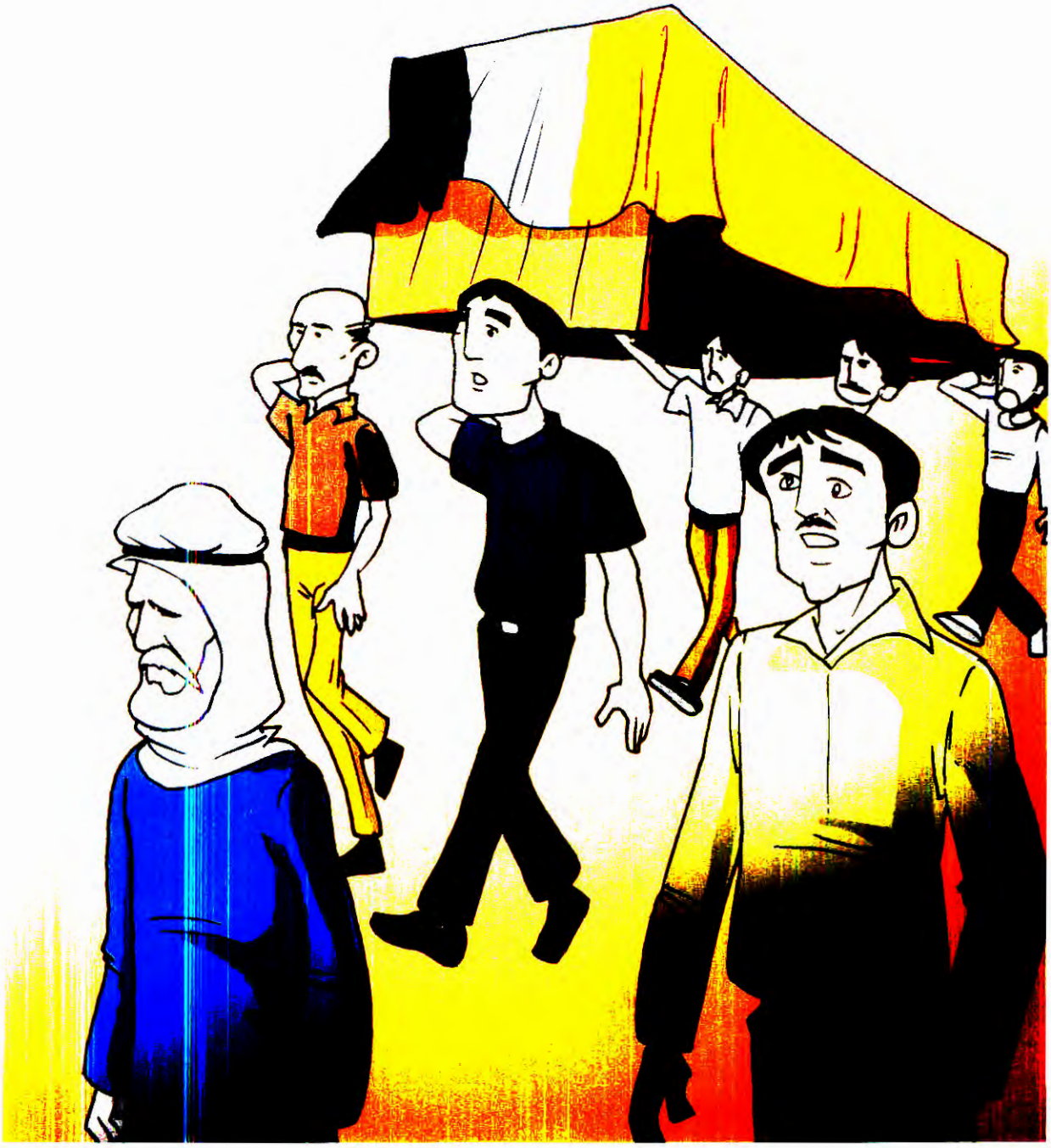

قَبْلَ التّوجه لأهله اتصلوا بمختار الحارة؛ كي يُمهِّدَ لحضورهم مع لجثمان، ولما دخلوا الحي، كان يَعُجُّ بالشباب من رفاقه الذين ستقبلوه بالعراضات وإطلاق النيران ورفعوا الرايات ونصبوا لخيام، وكأَنَّه عُرسٌ والعريسُ هو الشهيد البطل، ورجالات الحارة واسون والده وأهله، ورفاقه الذين وقفوا يستقبلون الوفود، والأبُ لا يقبلُ العزاء بل يقبلُ التهاني. كان والده صبوراً يُرَدّدُ: الحمد لله لله أعطى والله أخذ) إنه الشهيد الذي لَبّى نِداءَ ربّه ونال مرتبة لشَّهادة فلا حول ولا قوة إلا بالله. قال المرشح مُخاطباً والده وأهلَه ورجالات الحارة: إن الشهيد البطل راتباً حيٌّ عند ربه، فقد أبلىٰ بلاءً حسناً في قتاله مع الأعداء، وتصدى لهم وصرع الكثير من الصهاينة المعتدين، وكان يحمي أرواحَ رفاقِه ويُغطّي تَقَدُّمهم ويدفَع عنهم أذى المعتدين، وعَرفنَاهُ بطلاً وشاهدناهُ مقداماً، وكان خيرَ مقاتلٍ عنيدٍ من أجل وطنه وأرضه ودينه.

وتَهلَّلَتْ نفسُ أبي راتب الشهيد بالفرح والسرور، وبدا على محياه العِزَّةُ والافتخار بما قاله رفاقُ ابنه عن بطولته، فقد رفعَ رأس والديه وأرضى ربه وأدى واجبه.

كَلَّفَ القائدُ الرقيب أحمد والجندي زاهر بالذهاب إلى المشفى العسكري بالشام حيث يُعالج المجندُ جاسم من إصابته الخطيرة أثناء المعركة، فوجدوهُ في غرفة العناية المشدَّدَةِ وهو بين الحياة والموت، ولكن جسمه القويَّ يَصْمُدُ ويتجاوَبُ مع الأدوية والعمليات الجراحية، رغم نزْفِه الشديدِ وجُرْحِه العميق، وكانا مُرتاحين لوضعه وأن الله سوف يشفيه، وتَمَنّيا له السلامة والعافية، وقد سمح لهما الطبيبُ المشرف عليه أن يشاهداهُ ويطمئنا عليه، ولما رآهما، وقد استفاق من غيبوبته ابتسم وفرح بهما، ولم يتكلما معه حسب تعليمات الطبيب.أرْسَلَ المقاتلان برقيَّة إلى قيادة موقع محافظته؛ كي يَعْلمَ والدُه وأهلوه بإصابتِهِ ومكان وجودهِ في المشفى؛ لعلهم يحضرون لرؤيته والاطمئنان عليه.وجالت البرقيَّةُ من مخفرٍ إلى آخر في ربوع البادية حتى وجدت مَضاربَ أهله وعشيرته وحبيبته التي كانت تناجيه عن بعد طوال الفترة الماضية،

وأما أُمّه فاستولى عليها الصمتُ وهي تدعو ربها أن يحفظه ورفاقه المقاتلين، وما إن سمعت بالنبأ حتى طلبت من ابن أختها أن يأخذها إليه دون إبطاءٍ، أما والده العاجز فاستقبل الخبرَ بالصبر والسلوان وهو يدعو ربه ويصلي كي يعافي ولده الجريح.

وعبرَ طريقٍ وعرةٍ وطويلةٍ كان زادُها، أن الحمد لله رب العالمين، وهي تردد:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم.

وفي اليوم التالي وصلا دمشق وتوجها نحو المشفى العسكري، فوجدا الرقيب أحمد والجنديَّ زاهر في انتظارهما، وطمْأنَا أمَّهُ المُلتاعةَ على مصيره وأن الله سوف يعيده لهم سالماً.

ولم يشأ الطبيبُ المشرف عليه أن يُريَهُ والدته حتى لا تُصيبَه أزمةٌ تؤذيه، ونظرتْ له من خلف حجابٍ، وارتاحت وصدَّقت أن ولدها ما زال على قيد الحياة، وَكُلها أمَلٌ بشفائِه، ورفعت يديها إلى ربّها تطلب منه أن يَعود إلى جبهة القتال سالماً، وأن تفرحَ به وسط إخوته وأبيه وأهله، والجميع يرددون معها الدعاء.

وفي المشفى العسكري تجمَّعَ عددٌ من أهل العساكر الجرحى والأطباءُ والممرّضاتُ، وسألوا الرقيب أحمد عن سير المعركة التي خاضها ورفاقه ومنهم هؤلاء الجرحى الأبطال، وقبل أن يبدأ بالحديث قرأ الفاتحة على أرواح الشهداء الذين قضوا في هذه الموقعة المشّرفةِ وغيرها من مواقع العرب الخالدة، وكان الجميع يقرؤون معه فاتحة الكتاب الكريم.قال: هَاجَمَنا العدوُّ الصهيونيُّ من البَرّ والبَحرةِ، وقصف أرض المعركة (بالتوافيق) برشقات غزيرة من مدفعيته بعيدة المدى؛ ظناً منه أنها قد قضت على من في أرض المعركة، وقد أصابت بيوت السكان ومن فيها ودَمَّرتها وقتلت من أهلها، ثم سيَّرَ الصّهاينةُ أرتالاً من الدبابات وأفواجاً من جنود الكوماندوس المدربين على حروب الجبال، وتوهموا أن احتلال هذه الأرض سهلٌ وفي متناول أيديهم، وما دروا أن فيها أسوداً أشاوسَ مزروعين في ترابها وبين صخورها، وكانوا لهم بالمرصاد حيث دَمَّروا آلياتهم بالقنابل المتفجّرة والعبوات الناسفة،

وقتلوا المهاجمين برصاص بنادقهم ورشاشاتهم، وشارك في المعركة أفرادٌ من الحرس الوطني من أبناء المنطقة وهم يحملون بنادق قديمةً وانفرزوا بالأرض يصيبون بها رؤوس المعتدين ولم يتزحزحوا رغمَ وصول الدبابات إلى مرابضهم وأبلوا بلاءً حسناً.

وأما أفرادُ قواتنا المسلحة، فكانوا ينقضون على هذه الآليات ويفجّرونها بالقنابل والمضادات الحارقة، ومدفعيتنا تقصفُ أرتالَ مصفحاتهم ومجنزراتهم وتنسفها وتقتل سدنتها، وتتشبث القوات العربية السورية في مواقعها وخنادقها، كما شارك في المعركة ضباطٌ من الجيش العربي المصري، حيث أُرْسلوا إلى خط الجبهة؛ ليكونوا عُنواناً ورمزاً للتعاون بين الجيشين في الجمهورية العربية المتحدة، وَيُعيدوا مجد تعاون القوات العربية السورية والمصرية قديماً وحديثاً من معركة حطين وعين جالوت ومعارك فلسطين والعدوان الثلاثي على مصر يوم شارك البطل جول جمال في ضرب المدمرة الفرنسية جاندارك وأعطبها.قالَ الجندي زاهر بعد أخذ الإذن بالتحدث من الرقيب: نعم لقد قتلنا منهم الكثير وهؤلاء الأبطال من الجرحى والشهداء، كانوا ميامين في ساحة الوغىٰ وأوقعوا العدوّ بكمائن ومَطبّاتٍ لم يقوموا منها، وهم يتخبَّطون بدمائهم،

ومن نجا منهم لاذ بالفرار، وانكسروا شَرَّ كسْرَةٍ وأصبح الصباحُ وساحةُ المعركةِ مليئةٌ بحطام دباباتهم وأسلحتهم، وافتخرَ الجنودُ والضباط بنَشوةِ النصر الذي حققوه على عدوهم، وهو لا يمتلك سوى المعدات والأسلحة المتطورة، ونحن نتفوق عليه بالإيمان القويّ والمعنويات العالية والإرادة بالنصر وكلنا نؤمن بقوله تعالى:

﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾

صدق الله العظيم .

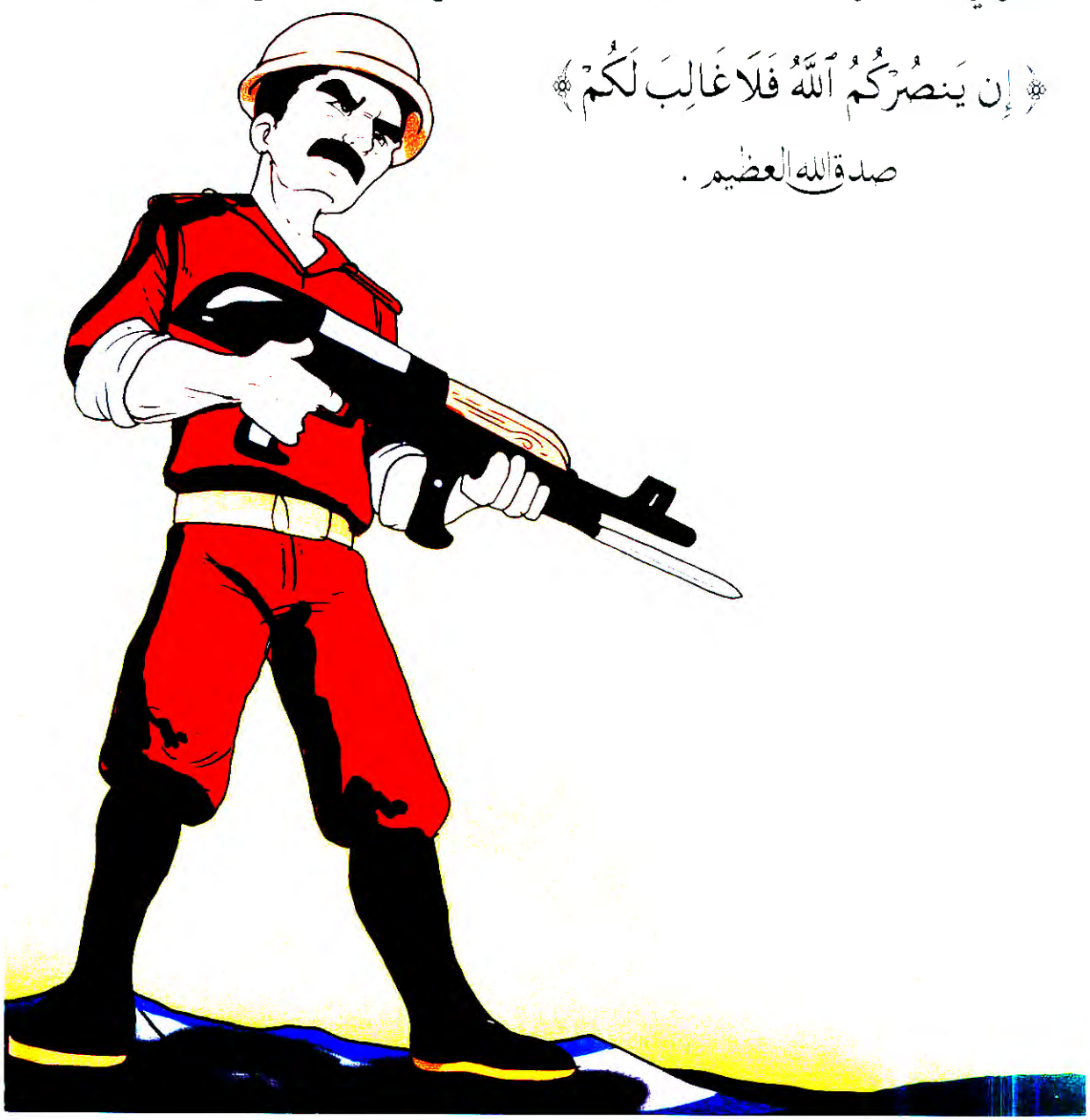

رَحَّلَت القيادة الكثير من الأسلحة والمعدات التي تركها المهاجمون في أرض المعركة بعد اندحارهم، وَعُرضت في متحف دمشق الحربي؛ ليراها المواطنون، كي يَطّلِعوا على بطولات جيشهم، وتضحيات أفراده البواسل، وَكَلَّفوا بعض المقاتلين ممن شاركوا بالمعركة، كي يكونوا أدلّاء ومُعَرفين عن سير القتال الذي شاركوا فيه، ومنهم: المجند محمد أحدُ أفراد الكمين؛ إنه شابٌّ متعلم مثقف، وقد أبلىٰ بلاءً حسناً في قتال المعتدين.

وقفت عندَهُ مجموعةٌ من تلاميذ المدارس الابتدائية، ومعهم معلموهم وبعض الأولياء، وطلبوا منه الرَّدّ على أسئلةٍ يَوَدّون أجوبَةً شافيةً عنها. قال أحَدُهم: في كلّ يوم ونحن نسمعُ عن عدوانٍ علينا من هؤلاء الصهاينة، فماذا يُريدُون وقد استولوا على أرضِ فلسطين العربية ومُقَدَّساتها؟ قال المقاتلُ محمد: إن لهؤلاء مخططات قديمةً ومتجدّدَة للسيطرة على أرضنا؛

كي يُقيموا دولةَ إسرائيل ويريدونها من الفرات إلى النيل، إنها بروتوكولات حكماء صهيون، ودعوة هيرتزل ووعد بلفور الوزير الإنكليزي لهم.وكلما استولوا على أرض أرادوا غيرها، وهكذا تستمر المحاولات والمعارك والاعتداءات، وعلينا أن نصُدَّهم ونقف في وجه حَمَلاتهم، بل علينا أن نطرُدهم من منطقتنا ونستعيدَ كلَّ شبر من الأرض العربية في فلسطين الغالية.

قال آخر: فلماذا لا نقومُ بما أشرتَ له بطردهم من فلسطين؟ أجاب: إنهم يملكون القوّة الضاربة من الأسلحة والطائرات، وقد أمدَّهم بها المستعمرون في الغرب وأمريكا، ويريدون أن يُذلُّوا شعوبَنا ويسيطروا على مُقَدَّراتنا وبلادنا.

وسألت إحدى الفتيات: من أين جاء هؤلاء الصهاينة؟ فأجابها: إن لهم منظماتٍ تَسْتَقْدمُهم من كل أنحاء العالم، وتُقدّمُ الإمكانيات المادية وتُصَوّرُ لهم أن عيشتهم في فلسطين في أرض الميعاد فيها الهناء والسعادة،

وما دَرَوا أن نهايتهم ستكون على يد أصحاب هذه الأرض في فلسطين وغيرها، وعليكم أنتم أيها الجيل العربي الصّاعدُ أن تكونوا عدَّةً لجيشٍ يقضي على الغزاةِ ويعيدُ الحقَّ لأصحابه الشرعيين.وسأل أحَدُ الصّغار: لقد انتصرتم وهزمتموهم، وهذا يعني أنكم قادرون على ذلك، فلماذا لا تستمروا بهذه الانتصارات وتُخلصوا العرب منهم؟فأجابه: يا صغيري، لقد أعاننا الله ونصرنا في هذه المعركة بتضحياتنا وصمودنا في أرض التوافيق، وقدَّمْنا شهداءَ وجرحىٰ، وإن الاستمرار في ذلك يحتاج إلى أسلحةٍ فعّالةٍ وقُوَّةٍ عربيَّةٍ مُدَربةٍ وتعاوُنٍ بين جيوش العربِ المتفرّقَة، وَوَحْدَةِ دُوَلهم تُجاه قوى عُظمى تدعمُهم بالسلاح والمال، وفي المحافل الدولية التي يسيطرون عليها وتنَحْازُ إلى صَفهم؛ لأن الدول الكبرى تؤيّدُ مخططاتهم وتشجعُ اعتداءاتهم على شعوبنا العربية.

وفي الحارة الدّمَشْقية العريقة، دَفَنَتْ أُسْرَةُ الشهيد المقاتل راتب ابنها في مقبرة العائلةِ إلى جانب قبر جدّه المجاهد في الثورة السورية الكبرى، وكان الحدثُ رَهيباً والمشاعرُ جياشةً، ورَفع الشبابُ الأعلام العربية والسورية فوق القبر وحول المقبرة، وكانوا يُرَدّدون الأناشيد الوطنية التي تمجّدُ الوطن وتحيي بطولة الشهيد أما أُمُّهُ فلم تلبسْ السواد، وقالت: أنا أمُّ الشهيد الحيّ، والبطل الذي دافع عن حياض الأرض والعرض والكرامة، ورَدَّ الأعداءَ وقتلَ منهم الكثير هو ورفاقُهُ الشجعان.

وقدَّمت الأم المآكِلَ الجاهزة عن روحه للفقراء على مدى أسبوع وهي تنادي: من يُحبُّ الشهيدَ فَلْيَأْكُلْ ويشبع ويأخذ مؤونة عياله.

وفي غمرة الفرحة بالنصر وهزيمة الأعداء، احتفل أهل القرى الحدودية بالمقاتلين الأبطال، وقدَّموا لهم التهاني.

ودعوهم لحضور الموائد العامرة في مضافات قرى عيون وكفر حارب والحمة والمزرعة وسعد وبطاح.

كما أرسلت القيادة قواتٍ لترابطَ بدلاً منهم في مواقع التَّـمَاس مع العدوّ الصهيوني، ومنحت أغلبَهُم إجازَاتٍ لمدة أسبوع يرون أهليهم وأولادهم، ويرتاحون خلالها من سهر واستنفارٍ واشتباكات وسط الوادي.

ذهبَ المقاتلُ محمد إلى منزل أهل الشهيد راتب؛ إنه رفيقه وأخوه وزميله بالسلاح، ولما استدَلَّ على المكان في حارته القديمة العريقة ودَخَلَ بيت أهْله، وجدَ عندهم الملازم أول قائد السرية وبعه مجموعةٌ من المقاتلين جاؤوا يُعزُّون أهله، بل ليهنؤوهم ويباركوا لهم فرحتهم بالشهادةِ التي نالها ابنُهم راتب، وكما طلب والداه وأهله؛ لأن العزاء والحزن يكون على غير الشهيد، وفرحَ الجَميعُ من رجالات الحارَة بهؤلاء الميَامين الأبطال الذين هرموا عدواً مُزَوّداً بكلّ أسباب القوَّة والجبروت، وحققوا نصراً مُؤزّراً يَفخَرُ به كلُّ سوريّ وعرَبي. كما ذهبوا إلى المشفى العسكري؛ ليطمئنوا على صحَّة المقاتل جاسم، وهناك وجدوا أفواجاً من شباب الكشفيّة وتلاميذ المدارس والهيئات النسائية والشعبية تقدّمُ الهدايا والخدمات للجرحى وأهليهم، وكان اللقاء الحار مع المجند الجريح جاسم الذي كان وضعُه بين الحياة والموت،

وقد مَنَّ عليه رَبُّه بالحياة وصارَ يتماثلُ للشفاء، فابتسم وسَلَّمَ على رفاقه وقائده الذي جاءَ بنفسه؛ ليطمئن عليه وعلى بقية الجرحى، وشكرتْ والدةُ جاسم الملازم أول وصَحْبُهُ على هذه الزيارة، وتَمَنَّتْ أن تُعطي الجريحَ دعَماً معنوياً يُعَجِّلُ في شفائه

سافر كلٌّ منهم إلى أهله وعائلته في القرى والمدن السورية، وكم كانت فرحةُ اللقاء جميلة، بعد غيابٍ طويل وأخبارٍ سارةٍ جلبت معها الحظَّ الجيد، فالانتصارُ بالمعركة وسلامةُ المقاتلين ورُجوعهم مظفرين لهي أكبرُ فرحة.وفي المشفى العسكريّ، حيث يعالجُ المقاتل جاسم ورفاقهُ، جاءَ الفدائيُ البطل الذي أنقذَهُ الجندي خلف وحَمَله على ظهْره بَعْدَ إصابته حتى مَقَرّ السرية وقد بُتِرَتْ قدَمُه فحملها هي الأخرى بين طيَّات ثيابه، وهو يسيرُ اليومَ على قدم اصطناعية وبيده عُكازٌ يُعينه، وكان يسأل عن جريح الكمين، ولما وَصَلَ إليه وَوَجَدَ عندَهُ المقاتل خلف، الذي له عليه فضلٌ بإنقاذ حياته وتلقاه بالعناق الحار وكان يقبّلهُ ويشكرُه على ما قدَّم له وللوطن. وهنَّأ الجريحَ جاسم على شفائه من هذه الإصابة الخطرة، وأما المجندُ زاهر فمَدَّ يَدَهُ إلى جيب أخيه جاسم وأخرج الرسالة التي كتبها له منذ مُدَّةٍ،

وهو يحتفظ بها في جيبه ويُعبّرُ عن حبه وأشواقه لفتاته في العشيرة، وأعطاها لأُمّهِ وقال: حافظي عليها يا خالة، إنها عاشت معه في حِلّهِ وترحالهِ وسِلْمِه وقتالِه ونومه وحراسَتِهِ، وأوصيك أن تزوّجيه حبيبته التي لم تفارقه لحظةً، وهو يذكُرها كلما حانت فرصةٌ للذكرى.

أما والدته فأشارت إلى حُبّ تلك الفتاة لابنها وإخلاصها له وهي مشغولة عليه، وتنتظر أخباره بفارغ الصبر.

ووعدت بزواجهما وبالفرحة بهما عندما يتعافى بإذن الله، ودعتهم لحضور عُرسِهِ في مضاربِ أهله وعشيرته التي رَفعَ رأسها عالياً بأعماله البطولية، وكان جاسم يَسْمعُ ما يدور من حديثٍ يتناول مصيره وحبيبته، فَأَدْخَلَ السرورَ إلى قلبه وكان حافزاً له وأملاً في الحياة والمستقبل الذي ينتظره.

وفي الجنوب وصلَ الجندي زاهر إلى بلدته في جبل العرب، فوجدَ أَهْلَهُ

في قلقٍ وَحالةِ عدم استقرار على مصيره الذي لم يعرفوا عنه شيئاً،

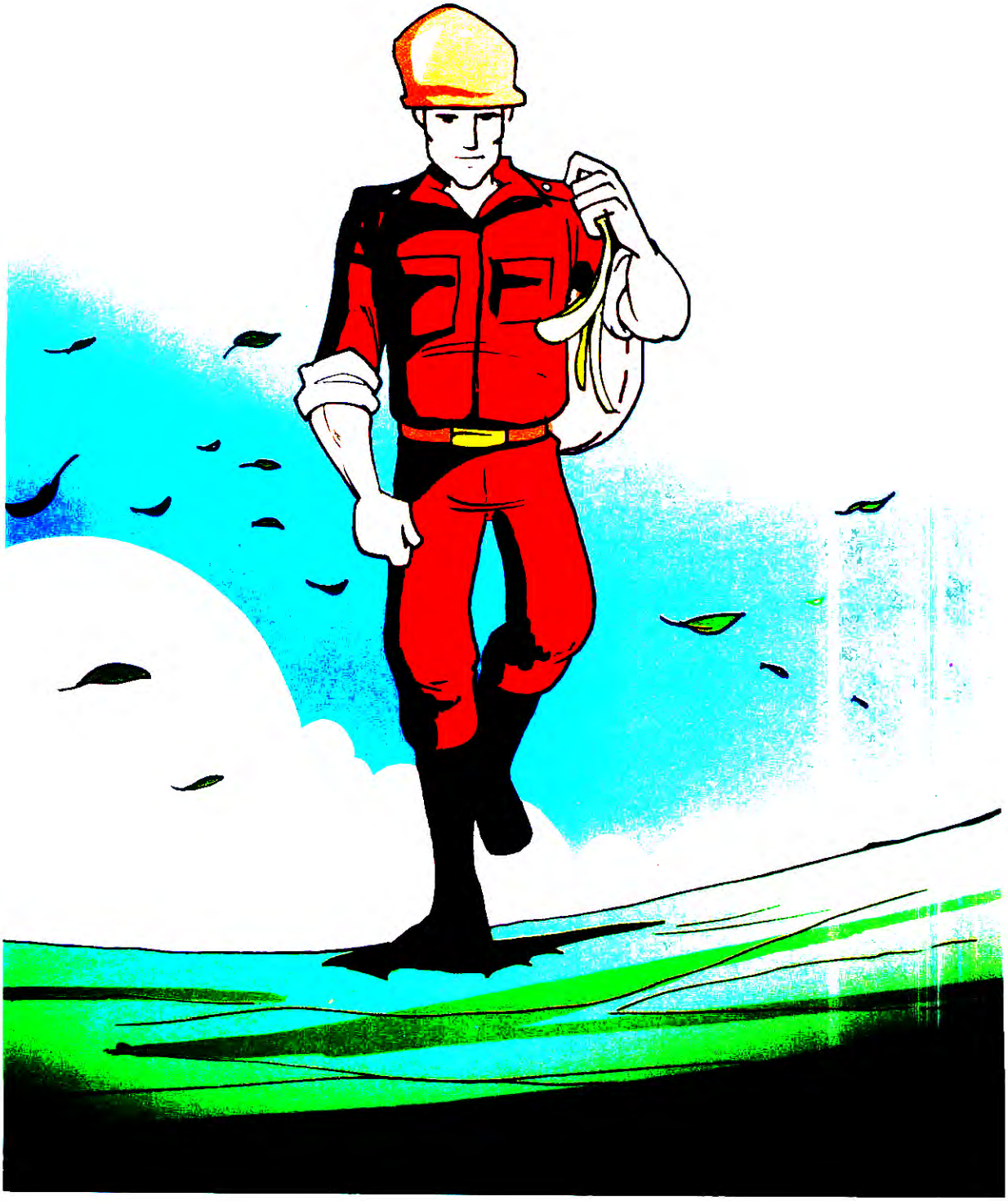

ولـمـا شاهدَهُ والداه فرحا بسـلامته وحَـمِدا الله على التلطُّف
به وَرُجوعه مُظفـراً بالنـصر الذي حَقَّقهُ مـع رفاقه الشـجعان.
ولـمـا علمت خطيبتـه بقدُومه بـان عليهـا السـرورُ والحُبور
ولكنها لم تشَأ أن تذهبَ لملاقاته والتسليم عليه خجلاً.
فـأرسـلت أهلهـا لتهنئته بـالعـودة سالـمـاً مـرفـوع الرأس.
وفـي سـاحة القـرية تـجمَّع الشـباب للذهاب
إلى داره وهم في عراضة
وغناء ورقص بالسيوف
وقرع للطبول وكأن الساحة
فـي عـرسٍ قـائـم.

أما والده فأصَرَّ على أن يُقيمه عُرساً حقيقياً على خطيبته التي تنتظر قدومه، واستمرت الأفراحُ ثلاثة أيام بلياليها، وأرسل زاهرُ دعوةً إلى زملائه وقادته في السّرية، وفي اليوم الثالث كانت الدبكات والرقصات الشعبية والزغاريدُ والطبولُ كلها تُعْلنُ فرحةً كبيرة؛ أولاً بقدوم المقاتل سالماً، وثانياً بزواجه من ابنة عمه شهلا، وكان على رأس الحاضرين رفاقُ سلاحه ورؤساؤه: الرقيب أحمد والعريف سليم والمقاتل محمد، ووقفوا إلى جانبه وقد احتفى بهم الجميع مظفرين منصورين هم ورفاقهم وجميع أفراد قواتنا المسلحة الباسلة، ونُحرت الذبائحُ وقُدّم الطعام لجميع الزُّوار والمدعوين، وكان عرساً لم تشهد القرية مثله.

وفي دمشق زار والدُ الشهيد راتب المقاتل الجريحَ جاسم ومعه رجالٌ من حارَته، وحملوا له الهدايا والمأكولات، فهو رفيقُ ابنِهِ وأخوه في النضال ضدَّ العدوّ الصهيوني، وكان الاثنان قد تعاهدا على الأخوة والإخلاص،

وقال والد الشهيد: أنت بمثابة وَلدي راتب ولك عليَّ الوفاءُ بالميثاقِ الذي عقدتماهُ سويّةً، وإن بيتي مفتوحٌ لك ولأهلك متى قدمتم إلى هذه المدينة، وبَضائِعُ مخزني تُقَدَّمُ لكم فهي ملك لأصدقاء راتب، وتناوَلَ عَباءَة من أفخر ما في مخزنه وقدّمها له.

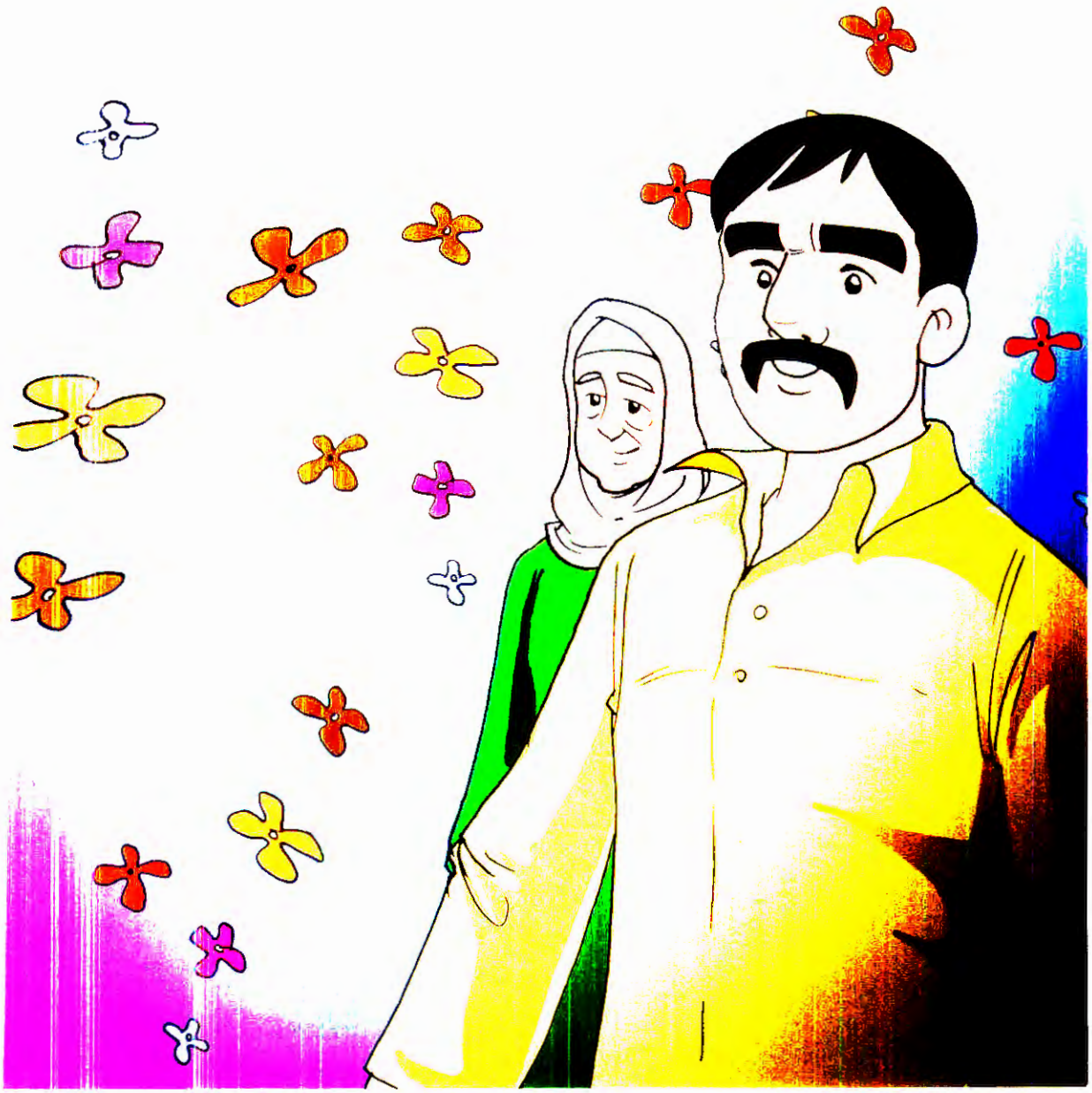

وقد بدت حُلَّة جميلة على بَطلٍ مقدام، واغرورقتْ عينا جاسم بالدموع عندما تذكرَ راتب الشهيد وقد تصوَّرَهُ وكلُّهُ حَيَويَّةٌ ونشاطٌ وَوَجْهُه يَطفَحُ بالبشر ولا تُغادِرُ مُحياهُ الابتسامةُ حتى في أصْعَب الأوقات، وقد قرأ والده الآية الكريمة: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ صدق الله العظيم.

ولما بَلَغ للجريح أربعونَ يوماً في المشفى، ورأت فيه والدته رَجُلاً مكتملَ القوةِ وتجاوَز كلّ مراحِلِ العلاجِ، وأصبح قادراً على العيش وممارسة حياته العادية.

طلبت الأم من السيد الدكتور المشرف عليه أن يسمح له بالتخرج والسفر معها إلى أهله، حيث ينتظره والده العجوز بفارغ الصبر، وإن ديرته تطلبه، وخطيبته تنتظرُ قدومه.وهكذا كان السفر إلى المضارب، والموكب يضمُّ الجاسمَ ورفاقاً له ووالدته، وبعد مسارٍ طويل في طُرُقٍ منها المُعَبَّدُ وغيرُ المُعَبَّدِ وصلَ الرَّكبُ ومعه المقاتلُ سالماً غانماً وقد مَنَّ عليه الله بالشفاء والصحة؛

كي يرعى والديه العجوزين ويعيش حياةً قدَّرَها الله له في هذه الدنيا و بها قد يسعد أو يشقى ، وينجحُ أو يفشل ، أو يجرحُ أو يُقتل ، وكلّهُ إيمان بما يحدث له:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ صدق الله العظيم

وفَرح القومُ بابنهم العائد من المعركة وقد سَلّمَه الله وشَفاه، فقبّلَ والدُه وجَنَاته وَضَمَّهُ إلى صَدْره وهو يَشم رائحته العطرة التي عَبقت بها ثيابُه من تُربةِ أرضٍ طاهرة مباركة، مشى عليها الأنبياء والصالحون وأقام فوقها السّيد المسيح - عليه السلام - وتعمَّدَ بمياهها العذبة، فلو قُتلْنا أو جُرحْنا فوق بطاحها فلها علينا أن نَفْديها بأرْواحنا ودِمائنا، إنها كلماتُ الشاب البطل جاسم.

وزَّعت الأم الخبز والحلوى على الفقراء وأهل العشيرة كما نذرت بوقت سابق إذا أعاد الله لها ابنها سالماً.

تصدَّرَ جاسم المجلس وهو يلبس العباءةَ التي أهداها له والد الشهيد راتب، ومن حوله رفاقُ السلاح الذين حضروا لتهنئة والده وقومه بسلامته،

وعلى رأسهم الملازم أول والرقيب أحمد وحولهم شيوخُ القوم والوجهاءُ، وكانت الأفراحُ والدَّبكاتُ والعراضاتُ تتواصلُ وسط البادية المتراميّة بين قومِه وأهله.

وفي مضارب النساء كانت ربيعتُه تُزَيِّنُ وتَلبَسُ الحريرَ والثيابَ المطرَّزة، وعجينةُ الحِنَّة تدور من فتاة لأخرى، وربيعةُ قد دهنت يديها وقدميها، وألبِستْ الدّامرَ والعُرجَةَ، وتَحضَّرَتْ كي تركب الهودَجَ وحولها المغنياتُ والراقصاتُ والمزغرداتُ والمصفقات، ومن يحملُ الملبّسَ ويَرُشُّهُ على الحاضرين.

وحلقات الدبكة والهجيني ورقصات السُّيوف في الساحة عند الرجال وكلٌّ يبدي فَنَّهُ ومَهارتَه، وفرحة العُرس اندمجت بفرحة عودة المقاتل مظفراً سالماً.

إنها أفراحُ الوطن المتواصلة، هناك في أرض المعركة فرحةٌ بالنصر المؤزَّر، وهنا فرحة بالسلامة والعود المظفّر، وفي الشام فرحة بالشهادة والنصر. وفي غمرة هذه الأفراح، احتفت القبيلة بالمقاتلين الأشاوس وقدَّمَ شيخُ العشيرة لهم الهدايا، وهي خناجرُ مطعمة بالفضة ومصنوعة بيد حدادٍ ماهرٍ، لتكون ذكرى بالنصر الذي تحقق على أيديهم وعربوناً للمحبة من جاسم وأهله.

إن هؤلاء الجنود الشجعان يمثلون كل شباب الوطن. في الجولان وحوران وجبل العرب وغوطة دمشق وأحيائها، وجبال القلمون وبادية تدمر وجبال إدلب ومدينة حماة وحمص وحلب، ومدن الساحل السوري وعلى ضفاف دجلة والفرات والعاصي.

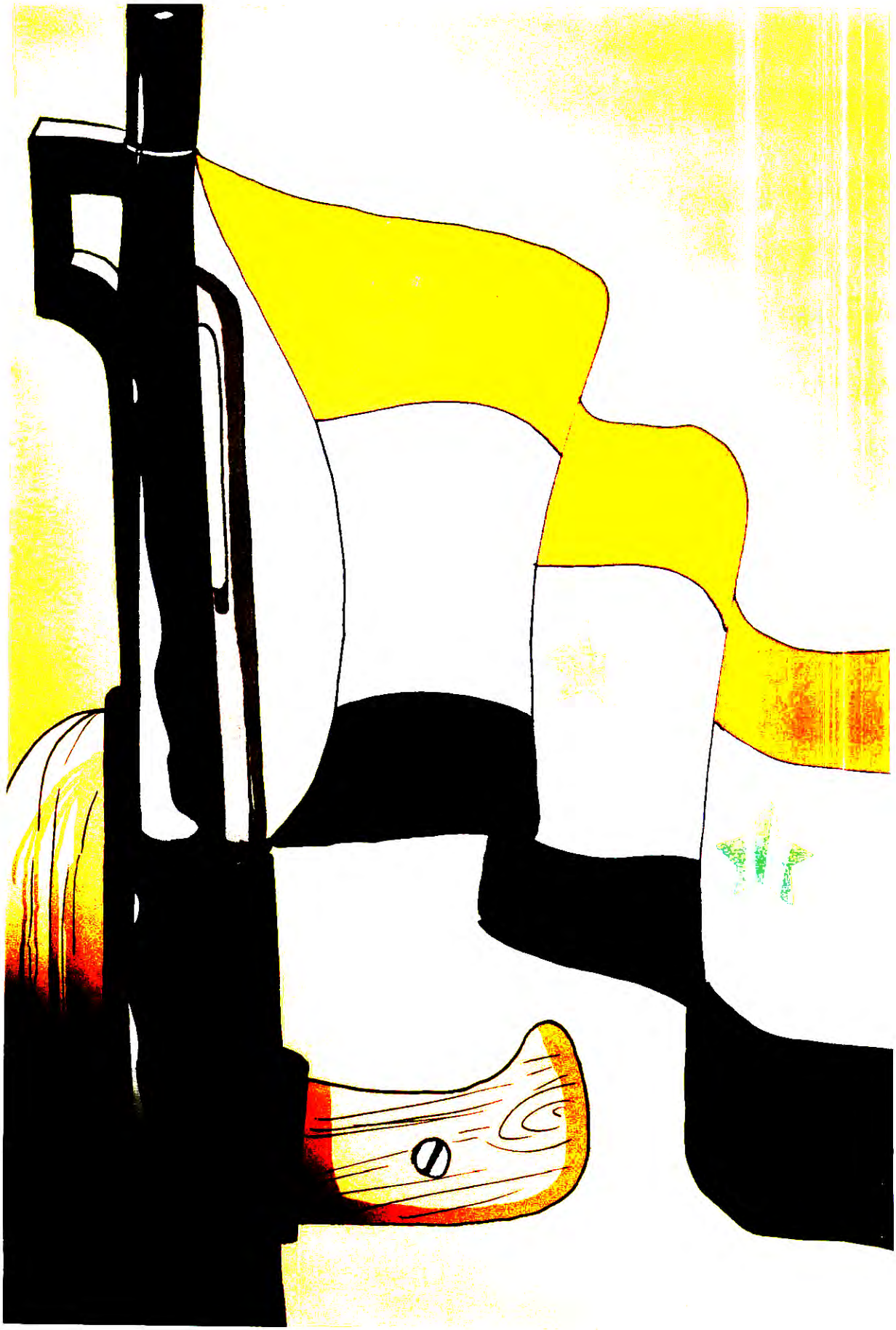

وكل مواطن يفتديك يا وطن العروبة، من سورية أو أية بقعةٍ من أرجائك المترامية، وهم يمثلون كبرياء الأمة وتاريخها الناصع في محاربة الطامعين والمعتدين من صهاينةٍ ومستعمرين حاقدين. وكم قدَّم هؤلاء الأبطال ضحايا وشهداء على مذبح الحرية. في فلسطين وسورية ولبنان والعراق، والحجاز ومصر والجزائر، وليبيا وتونس ومراكش والصومال.

وكانت الثورات المظفرة من ثورة الشريف حسين وعبد القادر الحسيني، والثورة السورية الكبرى والثورة الجزائرية التي قدمت مليون شهيد، وثورة عمر المختار وعبد الكريم الخطابي وأحمد عرابي، وثورة الكيلاني والثورات القائمة في العراق وفلسطين. وكان هدفهم رفع راية الكرامة خفاقة عالية، وصون الأرض والعرض من اعتداءات الطامعين والمستعمرين والصهاينة مغتصبي الحق العربي في فلسطين والجولان، وجنوب لبنان.

وإليك أيها الوطن الغالي، أنشدت الأجيال السابقة ومازالت الأجيال اللاحقة تغني لك:

مـوطـنـي مـوطـنـي

الـجـمـــال والجـلال

والسـناء والـبـهـاء

فـي ربـاك فـي ربـاك

.....

هـل أراك هـل أراك

سـالـمـاً منـعـمـاً

وغـانـمـاً مـكـرمـا

هـل أراك هـل أراك

في علاك تبلغ السـماك

الشـبـاب لـن يـكـلَّ

همه أن يسـتقلا أوتبيد

نسـتقي من الـردى

ولن نكون للعدا كالعبيد

فيحقُّ لك أيـها الوطن أن تتباهى بـهؤلاء الرجال الأبطال وتفخر

عزاً وكبـرياءً بـهؤلاء الميامين الشجعان.

الفهرس

إهداء 3
مقدمة 4
ناصر الكمين 6
مقر السرية المقاتلة 9
مهمة السرية للكمين 11
جند جاسم بمواجهة الوحوش 16
لجندي زاهر يكتب رسالة إلى حبيبته 22
مهمة استطلاعية 30
لجندي راتب ورؤياه الجميلة في الشام 38
قطيع الخنازير البرية 41
موت والدة العريف سليم 43
الدورية الاستكشافية 47
لجندي راتب يطعن جندياً صهيونياً ويقتله 49
فرحة زوج أخ الرقيب 53
مهمة مع الفدائيين داخل المستعمرة 59
جزئيتين عارضتين 66
الاستعداد للمعركة 71
الشهيد راتب، والجريح جاسم 82
ابتداء المعركة (التوافيق) 89
فرحة والد راتب بالشهادة 95
في المشفى العسكري 97
في المتحف الحربي 104
أعراس المقاتلين 117
الجنود الشجعان ونشيد الأجيال 124

المؤلف

عمر بكر المرعي

- ابن قرية اسمها سكوفيا في الجولان المحتل.

- ولد عام 1938م في قرية سكوفيا.

- درس الابتدائية والإعدادية في منطقته ودار المعلمين بدرعا وحمص.

- حصل على إجازة الحقوق من جامعة دمشق.

- عمل في سلك التربية والتعليم في محافظات السويداء ودرعا والقنيطرة ودمشق.

- سافر في بعثة تعليمية إلى الجزائر.

- له من المؤلفات :

1- حكايات وبطولات من الجولان .

2 - عند الحدود الجنوبية الغربية من الجولان.

3- الكَمين .

❊ ❊ ❊